

## الفصل الثاني

الاطار النظرى :

ويشتمل على :

أولا : مدخل :

**ثانيا : المنطلق الأول : صورة الأب**

○ المراهقة والبلوغ من وجهة نظر علم النفس

○ عاطفة الأبوه

○ غياب الأب ( الوفاة ) وتأثيره على شخصية المراهق

○ الخبرات الانفعالية الاولى وتأثيرها على تكون صورة الأب عند المراهق اليتيم

○ البنية النفسية وانعكاسها على صورة الأب عند المراهق اليتيم

○ الارتباط الوديبي بين المراهق ووالده

**المنطلق الثاني : التوجه نحو السلطة :**

○ السلطة كحجة على التابعين

○ التوجه نحو السلطة فى مفهوم التحليل النفسى

○ المشاعر الاجتماعية وتأثيرها على توجهات المراهق نحو السلطة

○ افكار المراهق الذاتية وتأثيرها على توجهاته نحو السلطة

○ صراع المراهقة والتوجه نحو السلطة من وجهة نظر التحليل النفسى

**المنطلق الثالث : دينامية الشخصية :**

○ دينامية الشخصية والعوامل المؤثرة فيها منذ الطفولة وحتى المراهقة

○ العوامل المؤثرة فى نمو الشخصية

○ المراهقة ومحاولة تأكيد الذات أو الهوية

○ القلق وتأثيره على تطور ودينامية شخصية المراهق اليتيم

○ عقدة أوديب

○ عقدة أوديب حسب نظرية التحليل النفسى وانعكاساتها على تكوين صورة الأب

## المنطلق الأول : صورة الأب

### مدخل

في هذا الفصل يتناول الباحث صورة الأب كركيزة أساسية لهذا البحث ثم يقوم الباحث بتعريف صورة الأب من وجهة نظر علم النفس والتحليل النفسي كذلك يتناول الباحث السلطة كمحور ثان يتم التركيز عليه مع تناول الدراسات التي تخص هذا المحور بالتعريف والتحليل، ثم يتعرض الباحث في إطار هذا المحور إلى توجهات المراهقين بصفة عامة نحو السلطة والمراهقين الايتام بصفة خاصة، كما يركز الباحث على العلاقة التي تربط بين صورة الاب عند كل من المراهقين الايتام وغير الايتام وبين توجهاتهم نحو السلطة هذا بالإضافة إلى أن الباحث سيتعرض لدراسة ديناميات الشخصية عند كل من المراهقين الايتام وغير الايتام . ثم يختتم الباحث الاطار النظري بعد دراسة المنطلقات الثلاثة لأنها يشكلون عناصر اساسية في موضوع البحث .

### المراهقة والبلوغ من وجهة نظر علم النفس :

إن الاتزان النسبي التي تتسم به فترة الكمون يستمر عند الفرد حتى يصل إلى مرحلة البلوغ . وعندما يدخل الفرد في مرحلة المراهقة يظهر عليه ظواهر نفسية مميزة لهذه المرحلة هذا ويمكن اعتبار هذه الظواهر النفسية محاولات لاستعادة الاتزان الذي اضطرب . ولذلك تكون المهمة السيكولوجية في مرحلة المراهقة هي تكيف الشخصية للظروف الجديدة التي طرأت بفعل التغيرات الفيزيائية . فعملية التكيف من السهل أن تكون أقل صعوبة بشرط أن تكون الظروف الجديدة جميعها جديدة لم يتداخل فيها ظروف من المرحلة السابقة . فالواقع أن هذه الظروف شبيهه بخبرات فترة الجنسية الطفولية ، والعقدة الأوديبية وبالتالي فمن المتوقع أن تعود صراعات تلك السنوات إلى الظهور . أما في مرحلة المراهقة عندما تدخل الأنا في صراع مع دوافعها الغريزية يكون الموقف مختلفا عما كان عليه في الطفولة. لذلك تظهر في الصدارة اتجاهات متناقضة . هذا بالإضافة إلى تناقضات أخرى مماثلة تخص سيكولوجية البلوغ وهذه التناقضات هي تناقضات في السلوك تقع خارج المجال الجنسي بمعناه الدقيق .

وشخصيات المراهقين تتباين استجاباتها لبعض المخاوف ومشاعر الإثم التي كانت في الأصل مرتبطة بالأخايل الأوديبية . فمن الممكن أن يتخذوا جانب الحافز محاولين التغلب علي القلق ( أو علي الآباء الممثلين للتحريمات ) هذا ومن الممكن أن يتخذوا جانب القلق والآباء محاولين التغلب علي الغوايات الغريزية ، وعلي نزعات التمرد ولكن الأغلب هو أن يتخذوا الموقفين علي التعاقب .

هذا ونجد بعض المراهقين يحاولون التغلب علي ضمائرهم بإقناع أنفسهم بأنهم ليسوا بأسوأ من غيرهم . فالبلوغ يتم التغلب عليه . بمعنى أن الجنسية تتكامل ضمن الشخصية عندما يصبح الفرد قادرا علي تحقيق نشوي مكتملة . أما بالنسبة للإضطرابات التي تظهر في هذا المجال ترجع إلي مكبوتات سابقة هي أساس الأعصبة وبالتالي فان الأشخاص الذين يعانون الخوف من الطابع القاطع للرشد أي يخافون من الطابع القاطع لمطالبهم الغريزية . وهذه التي يفرض عليهم الرشد تقبلها وبالتالي لا يرغبون أن يكبروا ومن ثم تجدهم يطيلون فترة البلوغ ويسترسلون فيه وان مثل هذه الإطالة تساعدهم عليها الظروف الثقافية العديدة . وحينئذ يمكنهم ولفترة ما أن يستمتعوا في واقع الأمر بالتبعية ومميزات السن الناضج .

يعد البلوغ تكرارا لفترة الجنسية الطفلية وبالتالي يكون من النادر أن نلتقي في البلوغ بصراعات لم تكن لها جذور في الجنسية الطفلية ، وعليه فإن خبرات البلوغ يمكن أن تنتهي صراعات أو تقوم بتحريف وجهة هذه الصراعات ويرى كثير من العصائيين يظهرون وكأنهم مراهقون لأنهم لم ينجحوا في البلوغ إلي درجة التفاهم مع جنسيتهم ، وبالتالي يفضلون أن يستمروا في أداء النماذج السلوكية للأطفال المراهقين ويعيشون الحياة كحاله مؤقتة ، بينما يظل الواقع الملى بالكثير معلقا في مستقبل مجهول .

وان مثل هؤلاء العصائيين نجد أن توجهاتهم تتسم بالاضطراب وعدم الثبات وبالتالي فهم دائما علي خلاف مع السلطة أو بعضهم ينسحب من الحياة الاجتماعية ويستسلم لعصاية

(اوتوفينخل ، ١٩٦٩ : ٢٨٥ ج ١)

إن المراهق له تفكير يختلف إلي حد ما عن تفكير الطفل أو الراشد وان هذا التفكير له خصائصه ومن خلال الدراسة تبين أن المراهق لا يؤسس تفكيره علي الواقع بل علي رموز مجردة لذلك لا نراه يبالي بقيود الزمان والحيز بل نجده يستخدم بعض المفاهيم التي ليس له خبره بها من قبل مثل اللانهائي notion infinity لذا فهو ينتقل بين أفكاره بحرية ومرونة وبالتالي فهو قادر أن يتحرك في أي اتجاه يريد حيث لا يقيد بمدركاته ومفاهيمه الذاتية .

" إن التفكير الشكلي formal thought يتطلب ضبطا وتحكما دقيقا فيما يقوم به الفرد من نشاط عقلي " ان المراهق والطفل قد يلتقيان في خاصية معينة وهي أن كل منهما يتدبر أكثر من مدرك واحد قبل أن يقوم بأداء سلوك معين . ولكن من الملاحظ أن هذه الخاصية أكثر تعقيدا عند المراهق وذلك من خلال تجنبه الأفكار والمدرجات التي ليست لها علاقة قوية بالموضوع ولكن يعتمد علي المعلومات التي لها صلة بموضوع الخبرة بالإضافة إلي المقدمات المنطقية premises محاولا جمع كل الجوانب في ذهنه . أيضا نجد أن المراهق لديه القدرة إلي حد ما علي تنظيم ما يتاح لديه من معرفة وبيانات مع إقامة علاقات بينهما ، أيضا يستطيع أن يلم بكل جوانب الموقف قبل أن يصل إلي قرار أو استنتاج .

" يستطيع المراهق أن يفكر تفكيرا تلقائيا خاصا به وكيفما يشاء " Can think about his own thinking " وتعتبر هذه الخاصية التي تميز المراهق من أهم خصائص الاتجاه المجرد abstract attitude الذي يميز مرحلة العمليات الشكلية Formal operation عن مرحلة العمليات المادية العيانية Concrete operation . وتعد هذه خطوة أخرى ابعده من التمرکز حول الذات وفي اتجاه حراكية التفكير Mobility of thought " وبالتالي يكون قابلا للتحرك والتنقل بهدف اكتساب المقدرة علي ممارسة تفكيره بما يراه هو معتمدا في ذلك علي النشاط العقلي الصادر عنه محققا بذلك التمايز عما حوله ككائن واعيا بذاته

من الملاحظ أن المراهق يقوم بشرح وتفسير وتعليل الشئ المراد شرحه ووصفه ( بيل ، ١٩٦٥ : ١٦٩ - ١٨٠ ) بينما نجد أن الطفل يقوم بعملية الوصف فقط داخل حجرة الدراسة والتي تتطلب عملية الوصف محاولة ربط وتجميع أجزاء الظاهرة بعضها ببعض الآخر ، في حين أن المراهق يقوم بعملية الوصف كاملة بالإضافة إلي التفسير والتعليل والذي يتطلب إظهار العلاقة بين هذه الظاهرة والظواهر الأخرى . (إبراهيم تشقوش ، ١٩٨٩ : ١٨٠ - ١٨٥)

يمر تفكير المراهق بمراحل متدرجة يكتسب من خلالها القدرة علي أن يتفكر حول تفكيره الذاتى كذلك تفكر حول تفكير الآخرين - لذلك نجده يطرح تساؤلا " عن ما هية

إحساس الآخر بتفكير المراهق عنه وأيضا العكس يتساءل عن تفكير ذلك الآخر حول إحساس المراهق بتفكير الآخر عنه " ( إبراهيم قشقوش ، ١٩٨٩ : ١٨٠ - ١٨٥ )

كلما استطاع المراهق أن يميز بين أفكار غيره وأفكاره الذاتية أمكنه أن يفسر أفكار الآخرين بأكثر واقعية " أن ميل المراهق إلى الخلط بين أفكاره الذاتية وأفكار الآخرين يترتب عليها نتيجة أخرى تتمثل في انه يكتسب تدريجيا أفكارا سامية " magnificent ideas حول الطرق والأساليب التي من خلالها يستطيع المجتمع أن يحسن من أحواله أن ما يساعد المراهق على أن يفكر في أكثر من احتمال لمستقبله الذاتي ولتغيير المجتمع من حوله هو أن تفكيره يتصف بالحركية mobility of thought بمعنى ان تفكيره قابل للتحرك والانتقال .

إن المراهق بهذه الخواص المميزة لتفكيره يستطيع أن يتجنب الجوانب العيانية للواقع وعدم التقيد بها ، وينطلق ليخلق في مجال الممكن بمعنى أن فكرة يخلق فيما هو ممكن بدلا مما هو كائن بالفعل والاكتفاء به وعندما يصل المراهق إلى مرحلة الشباب الراشد سرعان ما نجد أن هذا النوع من التمرکز حول الذات يخفى تدريجيا نظرا لاضطلاح الشباب بادوار الراشدين وخاصة الدور المهني في مجال عمل حقيقي ويرجع ذلك كله إلى أن الفرد يواجه واقعيات التعامل مع المجتمع الذي كان ينظر إليه في وقت ما انه في حاجة إلى تغيير أو إصلاح . وهنا يتلقى المراهق درسا مهما هو " أنه يوجد فرق بين ما يستطيع الفرد إتيانه بالفعل وبين ما يمكن أن يحدث من رغباته وما هيه ومطالب المجتمع ورغباته " ( إبراهيم قشقوش ، ١٩٨٩ : ١٩٦ - ١٩٨ )

" تعد المراهقة لدى أنا فرويد عبارة عن فترة من الاضطراب في الاتزان النفسي " وهي تبدأ ببداية النضج الجنسي وما يترتب عليه من نشاط القوى الليبدييه ( الشهوانيه ) . " وقد تتعرض الأنا الأعلى في مرحلة المراهقة إلى نوع من الضعف قد تعيشه بصورة غير مستمرة بل متقطعة مما يجعلها في بعض الأحيان ضعيفة في مواجهة هجمات الهى "يشير فرويد " أن الأنا ترى أن ضعف الأنا الأعلى وقتئذ يرجع أساسا لحدوث تشرب ناقص أو غير كامل وكان من المقرر اجتنابه An Inevitably I mperfect Internalization لصورة الأب وما تتضمنه هذه الصورة من رموز وذلك نتيجة التسرع في التخلي أو التغاضى عن متطلبات تدعيمها وتعزيزها ، وتحدث الدفاعات عندئذ بطريقة تلقائية وبصفة خاصة ضد مظاهر العقدة الأوديبية الثانية " وفي هذه الحالة نرى السلوك وكأنه يتأرجح بشدة بين نهايتين متطرفتين وذلك تبعا لارتفاع أو انخفاض الصراع بين الجانبين ، وبالتالي فان الفرد يمكن أن يتخذ سمات النقشف والزهد ومختلف صور الكف والتثبيط ، أو وقوع الفرد في بعض الانحرافات الجنسية سعيا للوصول إلى الإشباع وأيضا قد ينخرط في عديد من صور السلوك العدوانى أو الإجرامى ( إبراهيم قشقوش ، ١٩٨٩ : ٤٩ )

يرى جنترىب ( 1961 ) Guntrip " أن الموضوعات الجزئية الرديئة تتحول إلى بيئة داخلية توجد على نحو تشعر معه الأنا بأنها تعيش في صور وأشكال والديه قوية وفعالة Powerfal parental figures " وكل هذه قوة ضاغطة على هيئة " صورا وأشكالا ظالمة أو قاسية عند المستويات العقلية الأعمق " وف نفس الوقت تصبح مصدرا للإحساس بالإثم مع اتخاذها مظهر السلطة العقابية في المراحل التالية من مراحل العمر .

وهنا نرى أن الفرد يقوم بعملية تركيبية معقدة تتمثل في عقاب الذات وتعذيبها وبناء عليه تتوحد الأنا مع أعدائها الداخليين وبالتالي نستطيع أن نقول أن كل ما يستثير غضبنا من موضوعات رديئة في الواقع الخارجى تصبح ضرورية بالنسبة لنا كى تساعدنا على فرض أو ممارسة الضبط على دوافعنا ثم نحاط لما قد يترتب على عقابها من اضطهاد عن طريق

تبنى نفس وظائفها في الكبت أو الكبح . وتعد هذه العملية الكلية عملية مزدوجة أو مضاعفة في الواقع الداخلي وهكذا فإن الأنا الأعلى ترغب في أن تكون مشكلة وفق صورة الأب وبذلك تستطيع أن تشبع وتحبط على التعاقب طبقا لما تقبله أو ترفضه من اتجاهات ومعايير وقيم وتعاليم . وفي الوقت الذي نرى فيه أن هذين الموضوعين الجزئيين يميلان إلى التخلف مبدئيا بقسط كبير من الأوهام ، فإنه في نهاية هذه المرحلة تصبح صورة الأب أكثر واقعية مما كانت عليه من قبل وإذا نظرنا إلى الإسقاطات والاستمجات على مدى مده معينة من الزمن فإنه عن طريق تعاقب حدوثها فإنه يتم تصحيح " التشويهاً وتحريفات الإدراك من خلال الاحتكاك والخبرة بالصفات والخصائص الحقيقية للأب المحبوبة بطريقة سوية "

( إبراهيم قشغوش ، ١٩٨٩ : ٥٥ )

يرى الباحث فيما يتعلق بضعف الأنا الأعلى نتيجة حدوث إستدخال غير كامل ( ناقص ) لصورة الأب وخاصة الطفل في مرحلة ما قبل اليتيم . إن هذا الطفل الذي يتشرب صورة الأب قبل اليتيم وما تحمله هذه الصورة من رموز وإيجابيات وسلبيات مع عدم تدعيم هذه الصورة وتعزيزها فإن ذلك سوف يجعل الأنا تقوم بدفاعات تلقائية في فترة المراهقة وهذه الدفاعات تكون بصفة خاصة ضد مظاهر العقدة الأوديبيّة الثانية . وبالتالي يكون سلوك المراهق متأثراً تأثراً شديداً بهذه الصورة وطبقاً لحالة الصراع تجاه ما تتسم به هذه الصورة يتحدد هذا السلوك فقد يكون متجهاً إلى أقصى اليمين حيث النقش والمغالاة في النزعة الدينية والزهد وبالتالي يدخل في مرحلة تتسم بالكف والتثبيط الأمر الذي ينعكس على توجهاته نحو السلطة فنجد أن هذه التوجهات تغلب عليها الصبغة الدينية فيكون المراهق قليل الاحتكاك بالسلطة ليس له مطالب متشعبة بل تكون مطالبه محدودة لا تتعدى مظاهر النقش والكفاف . وأرى أن هذا المراهق الذي يتسم بهذه النزعة يميل إلى السلبية في المجتمع ، كثير النقد للسلطة . أما من نجدة يتجه بسلوكه إلى أقصى اليسار فيكون في الغالب عدوانياً يميل إلى الأفعال الإجرامية كثير الاحتكاك بالسلطة ، وتوجهاته نحو السلطة تتسم بالمغالاة في مطالبة الأمر الذي قد يدفعه للانحراف الجنسي سعياً للوصول إلى الإشباع .

وبالتالي فالباحث يؤكد على تدعيم وتعزيز صورة الأب التي يخترنها الفرد في مرحلة الطفولة وقبل اليتيم وخاصة الجوانب الإيجابية بها ، كي تكون هذه الصورة لها قوة توجيه السلوك في فترة المراهقة وتوجيه التوجهات الخالية من المغالاة والتطرف أو السلبية والضعف لذلك أرى أن من واجب السلطة البديلة المتمثلة في الأم أو الأخ الأكبر تعزيز صورة الأب عند الطفل اليتيم تحسباً لما قد يواجهه هذا الطفل عندما يصل إلى مرحلة المراهقة من صراعات بين الهى والأنا الأعلى فتكون صورة الأب بمثابة عامل مساعد على ضبط السلوك وتوجيهه بعيداً عن مطالب الهى الجارفة الأمر الذي يجعل الأنا الأعلى تريد أن تتشكل وفق صورة الأب . ومن هنا أرى أن على الأسرة تدعيم إيجابيات صورة الأب لدى الطفل اليتيم لتكون عاملاً إيجابياً مساعداً لتوجهاته نحو السلطة في مرحلة المراهقة .

إذا كانت مضادات الشحنات تزيد على الشحنات في قوتها فيؤدي ذلك إلى الكبت في التصرف ، أو كبت الفكرة فإذا كانت الفكرة مأخوذة عن صورة الأب سيتم لها كف داخلي نتيجة مضادات الشحنات الزائدة ومن هنا يحجم المراهق اليتيم عن إظهار توجهه نحو السلطة نتيجة أن الفكرة لم تصل إلى الوعي ، وأحياناً لا يكون هناك مضادات الشحنات ومع ذلك نجد أن التصرف لا يتم وإن الفكرة لم تصل إلى الوعي ويرجع ذلك إلى أن العملية العقلية ذات شحنة ضعيفة جداً . ومن هنا فقد يمر المراهق بهذا الأمر فنجد أنه يحاول أن يتذكر

شينا ما فنجد أن السبب في عدم قدرته على التذكر هو أن أثر الذاكرة مشحون بقدر قليل من الطاقة ، وهذا القدر غير كاف وقد يرجع ضعف هذه الشحنة إلى أن الخبرة لم تترك عنده انطبعا قويا من البداية ، أو أن الطاقة قد استنفذت في تكوين آثار ذاكرة جديدة إذ أن تعلم شئ يتطلب نسيان شئ ما أو إلغائه ويرجع ذلك في أن الفرد لديه قدر محدد من الطاقة النفسية لذلك فإنه يتم اخذ جزء من الطاقة من شحنات الموضوعات المتكونة فعلا لاستخدامها عندما تحدث استثمارات جديدة في الطاقة وتبعاً لهذا فقد يحدث ضعف لشحنات الذاكرة القديمة عندما يتم إضافة طاقة إلى شحنات الذاكرة الجديدة . فأثار الذاكرة ذات الطاقة الضعيفة أو التي أعطت طاقتها لأثار أخرى توصف بأنها أصابها النسيان ولكن يمكن تثبيتها مرة أخرى بواسطة إعادة الخبرة أو تكرارها لكن الإنسان قد لا يستطيع ذلك ، بسبب أن نصيب الذاكرة من الشحنة يجد مقاومة أو شحنة مضادة حينئذ يقال ، أن هذه الذكرى مكبوتة لا منسيه بالنسبة للذكريات المكبوتة يمكن تذكرها بخفض قوى مضادات الشحنات ، أو عن طريق زيادة قوة الشحنة والاثنان يصعب تحقيقهما ومن الملاحظ " انه كلما عمل الإنسان بقوة للتغلب على الكبت زادت المقاومة " ولكن هذه المقاومة يمكن إضعافها عن طرق التداعي الحر أو التنويم الإيحائي كذلك هذه المقاومة تضعف أثناء النوم مما يجعل الإنسان يتذكر شيئاً في الحلم كان مكبوتاً في اليقظة . ( كالفن س هول ١٩٦٧ : ٥٥ - ٥٦ )

### عاطفة الأبوة :

أن عاطفة الأبوة ليست فطره ضرورية تقوم عليها الوظيفة الذكرية، فهي تنشأ وتتطور مع أسس شديدة الاختلاف فان عاطفة الأمومة أن كانت تمتد جذورها إلى العلاقة الثنائية فان عاطفة الأبوة تتكون من خلال العلاقة الثلاثية . فان عاطفة الأبوة تخضع لعلاقة الأب مع أم أو لاده أي أنها تمر عبر وسيط هو حب الأب لزوجته بينما عاطفة الأمومة تخضع جزئياً للاقتصادية النفس وجدانية في حياتها الزوجية .

ويرى ميلدورف Malduierf أن الأب الذي لا يحب زوجته ليس أباً حقيقياً ، فهو يبحث عند طفله عن علاقة تبادل وجداني يستحيل تحقيقها ويعتبر حبه لابنه حبا نرجسيا لأنه يحب نفسه من خلال ابنه الصغير لذلك أن الأب هو الوسيط بين الأم والطفل لكي يتحقق النمو السوي لشخصية الطفل بهذا تعتبر الأم هي الوساطة اللازمة لنمو علاقة الأب بابنه لكي تنمو مشاعر الأبوة لديه . فميلدورف يعرف لنا الأبوة من حيث الصلة التي بين العاطفة وبين القدرة على تحمل المسؤولية لمختلف عناصر الوظيفة الأبوية وذلك في إطار العلاقة العاطفية أو الوجدانية التي تتكون بين الوالدين فيقول أن الأب بوصفه حامل التحريم بوصفة ممثل للسلطة وما يتمخض عنها من سلسلة من متنوعات الوظيفة الأبوية فان هذه التنوعات لوظيفة الأبوة هي في الحقيقة مجموع مكونات عاطفة الأبوة. (شاديه حسن ، ١٩٩٣ : ١٧ - ١٨)

ونظراً لأن موضوع الدراسة يتعلق بصورة الأب عند المراهق اليتيم ، فان عاطفة الأبوة في المراحل الأولى من الطفولة منذ بدايتها وحتى سن السابعة تقريباً وهي ( المرحلة العمرية للعينة ) تقريباً ( وهذه المرحلة تعتبر هي العمر الذي قضاه كل فرد من أفراد العينة مع والده قبل أن يفقده ويدخل في حالة اليتيم ) أن هذه المرحلة تشكل عاملاً أساسياً وخطيراً في تكوين صورة الأب في مرحلة المراهق اليتيم الذي فقد والده في أي زمن من المرحلة العمرية التي عاشها مع والده وحيث أن عاطفة الأبوة تمر عبر وسيط . وهو حب الأب لزوجته أم أولاده . إذا العلاقة الوجدانية والعاطفية بين الأب والأم تؤدي دورها نحو الطفل ، إذ تساعده على نمو شخصيته نمواً سوياً مما يجعله ينظر إلى الأب نظره ايجابية وبالتالي فان الصورة

التي تتكون عن الأب لديه سوف تكون صورة ايجابية ، ليس هذا فقط بل تلعب الأم أيضا دورا مهما في تكوين صورة الأب لدي الطفل حيث أنها الوساطة اللازمة لنمو علاقة الأب بابنه لكي تنمو مشاعر الأبوة لديه على أساس سليم وسوى . وحيث أن الأب يقوم بسلسلة متنوعة من الوظيفة الأبوية وتحمل المسؤولية - وكل هذا أحد العناصر المكونة لعاطفة الأبوة- ومن هذا المنطلق فان الطفل تتكون لديه صورة الأب من خلال قدرته على تحمل المسؤولية من عدمه ومدى قيامه بالوظائف الأبوية المنوطة إليه كأب كما تتكون عنده من النواحي الأخرى وبما أن الطفل له مطالب متنوعة من بينها حنان الأب المضبوط أو المشروط إذا فان قيام الأب بعطاء الحنان المضبوط للطفل يجعله ينظر إليه نظره سويه وبالتالي تتكون الصورة الأبوية عنده على أساس سوى لهذه الجزئية ونظرا لأن من بين حاجات الطفل شعوره بالحب الأبوي وتواصل هذا الحب على مر التحولات العمرية فإذا توقف الأب عن العطاء الوجداني الممثل في الحب والحنان لطفله يكون قد الحق ضررا بالطفل دون أن يشعر ، وفي هذه الحالة مما لا شك فيه يتأثر الطفل بهذا الحرمان وينعكس تأثره هذا على تكوين صورة الأب بداخله فقد يري أباه الرجل الجاف الغير العاطفي الذي ليس لديه إشباع لحاجاته.

ولهذا فان الأبوة بين السواء والاضطراب أمر هام بالنسبة للنمو النفسي للطفل، لذلك فان البنيان التربوي والأسري يقوم بدور أساسي في إعداد الطفل، وتهيئته للخروج إلى العالم الخارجي بشكل متكامل أو بشكل مضطرب إذا فمن واجب الأب أن يقوم بدور مهم داخل هذا البنيان وهذا الدور تتطلبه الطبيعة النوعية الضرورية لسلامة نمو الطفل هذا بالإضافة إلى انه يجب أن يقوم بدور رمزي تتطلبه الضرورات الاجتماعية والثقافية لذلك فانه يجب ان يمارس مهام دور من خلال أمرين هما :

العلاقة بالأم والعلاقة بالطفل لذلك يجب التركيز على التوافق النفسي نظرا لأن التوافق النفسي العام يتأثر بمدى العلاقة التي تربط الزوجين لذلك فان الطفل يتأثر تأثرا شديدا بالعلاقة التي تكون بين الوالدين فإذا كانت العلاقة تتسم بالصحة فان الطفل يجد الحياة أسهل ويكون أكثر سعادة ويشعر بالأمن الاجتماعي Social security لذلك " فان الونام بين الأب والأم يمد الطفل بجزء من الأساس الطبيعي للحل الشخصي لمشكلة علاقة الثالث ( الموقف الأوديبى ) " أما إذا كان الأب غير قادر على إرضاء زوجته وغير قادر على مواجهة مطالب الحياة الاجتماعية في العلاقة بها فذلك ينعكس سلبيا على علاقة الأم بالطفل " وبالتالي تتداخل الوظيفة الأبوية الغير مباشرة مع الوظيفة الأبوية المباشرة ويكون ذلك على تأثير مزدوج بسبب عدم كفاية الصورة القوية التي هي مصدر الأمن الداخلي " ومن ثم يشعر الطفل بعدم الأمن الذي بدوره يدعم الاعتماد على الأم وليس الأب لذا فان نجاح الأب أو فشله في علاقته وتأثيره غير المباشر على الطفل من خلال العلاقة بالأم يتوقف إلى حد ما على الصورة الأبوية التي تقدمها الأم لابنها .

إن اتجاهات الأم وسلوكها داخل إطار الحياة الزوجية يجعل الطفل يدرك جيدا الصورة الايجابية المؤثرة والنشطة القادرة على العطاء المادي والنفسي لوالده ، وأيضا إن اتجاهات الأم وسلوكها داخل إطار الحياة الزوجية قد يجعل الطفل يشعر بالعكس فقد يرى لوالده صورة ضعيفة مذبذبة عاجزة على إشباع الحاجات الوجدانية العميقة ، وعاجزة في مواجهة الحياة الاجتماعية . أما إذا كانت الأم تسعى إلى إخفاء النقص الموضوعية للأب وتمويهها، فالطفل يستدخل صورة أبويه ايجابية ، وهذا يساعده على تعليل معاناته بفضل التوازن الذي يسود العلاقة الزوجية أو قد لا يعاني عواقب هذه النقص إلا في حالة تفاقمها وعجز الأم

على احتوائها وتكون أمرا واقعا وحقيقة ظاهرة أمام عيني الطفل . إن السلوك الذي يظهر به الوالدان ويعكس مظاهر الحب الوجداني بينهما له تأثير بالغ في تحديد النمو الانفعالي للطفل . فالطفل في حاجة شديدة لأن يشاهد مشاعر الحب المتبادل بين الأب والأم ، لأن هذا يساعده على النمو العاطفي . يقول جرين Green " لا يمكن للصبي الصغير أن يدرك كيف يكون زوجا واثقا من نفسه إذ لم يكن من أول زوج رآه في حياته : والده "

إن وجود الأب أو غيابه ليس هو بأهم أو أخطر خط فاصل بين السواء واللاسواء لدى الطفل ، بل نوع الأب عندما يكون موجودا . إن الوجود المادي للأب إن لم يصاحبه حضور سيكولوجي يمنح الطفل الشعور بالأمن الداخلي فيكون هذا الحضور أو الوجود المادي للأب ليس فيه الضمان الكافي لأن يشعر الطفل بالأبوة المشبعة والمناسبة له . (شاديه حسن ، ١٩٩٣ : ٢٣ - ٢٥) الأب كـمـمـثـل للسلطة : لذا نجد في إطار ثقافتنا الاجتماعية أن الأب يلعب دور المعلم في المبدأ التنظيمي ، مؤكدا قيمة السلطة .

إن السلطة الأبوية تقوم على دلالات ( القاعدة والقانون والأمن والحماية والقوة المساعدة ) فيمكن وصف السلطة الأبوية بأنها : القوة الخارجية التي تحمي الطفل من نفسه وذلك في مواجهة دفعاته الداخلية ، كذلك تحميه في مواجهة مبادراته تجاه العالم الخارجي نظرا لأن هذه المبادرات تتسم بالفوضوية والتفكك - لذلك فإن تصور الدور الأبوي ينبثق من التكامل الذي يجمع بين القيم الأخلاقية المعينة التي تدفع إلى تأكيد قيمة السلطة .

( شاديه حسن ، ١٩٩٣ : ٢٦ )

يلعب الأب دورا كبيرا في تكوين الضمير والذات العليا ، ويحدث هذا عندما يستمدج الطفل شخصية الأب بوصفه ناقل الشعور بالنظام الاجتماعي ، وممثل لقانونه وحامل لأخلاقياته . يقول ميلدورف : " إن الإبوة مخاطرة تنطوي عليها كل عملية تعليم "

( شادية حسن ، ١٩٩٣ : ٢٦ )

إن السلطة الأبوية لكي يكون لها الطابع الايجابي فلا بد لها من التسامح والصبر وحسن النية لتتوازن على أساس يسمح للطفل بادراك الحرية المضبوطة أي الإحساس بالأمن أكدت دراسة باندورا وولترز Bandura & Walters والتي اهتمت بتأثير الأب الذي لديه القدرة على التربية والتدريب ( وضع القيود والحدود ) والدفع أيضا أن أولادهم يمتازون بالرجولة وبناتهم يمتزرن بالأومومة . ويرى ميلدورف : ان صفات التسامح والصبر وحسن النوايا لا توجد تلقائيا أو على نحو فطري ، بل تكتسب بالخبرة والنضج الفردي من جانب الأب - أما التجاوز والتشويه فيحدث عندما تنزلق السلطة من وظيفتها التربوية إلى الاتجاه التسلطي فيصبح الحد الذي يفصل بين السلطة والصرامة غير واضح ، حينئذ يتحول بعض الأباء إلى التسلطية ويمارسون القهر كوسيلة لفرض سلطتهم وان دل هذا إنما يدل على بعض خصائص شخصية الأب . إن الأب الذي يبالغ في عملية التحريم والتسلط وانخفاض درجة التسامح عنده يجعل ابنه في حالة حرص دائم مما يجعل شخصيته تتسم بالجمود وعدم المرونة في مواجهة السلطة أو الرؤساء وكل من هو أعلى منه منزله ، كما أن هذه الشخصية تبقى دائما في حالة دفاع ضد عدوانية داخلية لها من الضخامة ما يجعله يمتنع عن التعبير عنها .

إن الأب كـمـمـثـل للفكر في حياة الطفل وخاصة إذا كان الأب ذا فكر واسع متعدد الجوانب فبذلك هو الذي ينمي الاهتمامات السياسية والثقافية والاجتماعية عند الطفل كذلك فإن الأب الذي يتمتع بقدرات وأنشطة عقلية ويوجد بينه وبين ابنه تواصل في الرعاية الأبوية

المضبوطة والمتوازنة يمكنه أن يساهم بالكثير في النمو العقلي المعرفي لدى الطفل - ويرجع ذلك إلى :-

تعين الأبناء الذكور الذاتي بالأب : نجدهم غالبا ما يكونون متشابهين لأبائهم في اتجاهاتهم وقيمهم وإيماءاتهم وانفعالاتهم ليس هذا فقط بل أيضا في أساليبهم وخططهم في حل المشكلات وعمليات التفكير الخاصة بهم . فان الأب قد يسرف في أعمال العقل والتفسير ويرجع ذلك إلى صعوبة في الإخراج للعواطف أو يكون السبب هو ضبط وجدانه فان هذا الأب عادة ما يعقد مع طفله علاقة غالبا ما تكون متمركزة حول تبادل الأفكار فقط . ويرى ميلدورف : أن هؤلاء الأباء يحاولون القيام بدورهم الأبوي متأخرين أي أنهم يبدأون بعد أن يصل الطفل إلى مرحلة أصبح فيها التبادل اللغوي والعقلي فيها ممكنا . وإذا نظرنا إلى الجانب الوجداني في هذه الحالة نجده شديد التراجع ويقاوم بشدة مقاومات نفسية لا شعورية . هذا بالإضافة إلى أن الأب يستشعر مبررات قوية لموقفه هذا ، وفي النهاية نجد أن هذا الموقف يستجيب للنمط التقليدي لدور الأب . " اتفقت دراسات بارسونز Parsons ، جوهنسن Johnson ، جودانف Goodenough وكذلك مويسن Mussen والتي تناولت الأب كممثل للصورة الذكرية على أن الأب أكثر دلالة وأهمية في توظيف الدور الجنسي لدى الطفل عن الأم "

فيري جوهنسن انه من الطبيعي أن تكون العلاقة التعبيرية الأولية لكل من الذكور والإناث لدى الأم ، بالتالي فان الأب يكون على النقيض فهو يقدم الإثابة لكل من الابن والابنة بشكل مختلف فهو يشجع السلوك الفعال النشط في ابنه والسلوك التعبيري في ابنته وبهذا يكون " الأب هو الناقل للمفاهيم الوضعية ثقافيا لكل من الذكور والأنوثة " إن رجولة الولد وأنوثة البنت لهما صلة وثيقة برجولة الأب ووضعها في الأسرة ، فتقليد الأب يعزز ذكورية الولد فقط ولكن هذا يرتبط بظهور سلوك ذكري من قبل الأب في وجود ابنه هذا فان إدراك الأب ذات المستوي العالي في صناعة القرار له ارتباط خاص بتوجيه الدور الجنسي ، بالإضافة إلى ارتباطه بالتميز والتبني لهذا الدور لدى الأطفال . إن صورة الأب التي تشكل أساسا للتعين الذاتي الذكري تتوقف على الكيفية التي تدرك بها هذه الصورة . وبالتالي فعندما يستشعر الطفل - ولأسباب موضوعية - الإحساس بالمهانة في حالة ما يجد أباه لا ينال احترام المحيطين به بل يستثير ازدرائهم به " أن الغياب النفسي للصورة الذكرية الصالحة للتعين الذاتي الإيجابي يؤدي إلى أن تكون شخصيات الأطفال غير آمنة تقتدر إلى الاطمئنان " مما يجعلها تبحث بصفة مستمرة عن الأمان ومن يوفره لهم . فقد أكدت الدراسات التحليلية التطورية القائمة على الملاحظة الإكلينيكية لـ أنا فرويد وبيرنجهام Anna Freud & Burling ham 1944 وبيرنجهام و فرويد ١٩٤٤ وبيرنجهام ١٩٧٣ وابلين ٧١ - ١٩٧٥ " كيف ان العلاقة العاطفية التي للطفل الرضيع بوالده هي جزء متكامل من حياته الانفعالية والمقوم المهمة للقوى المعقدة ، والتي تعمل تجاه تشكيل الشخصية " كما أكدت الدراسة على أن العلاقة المبكرة بين الطفل الرضيع ووالده تمهد لعملية التفرد عند الطفل ، كما تلعب دورا هاما في تمايز وظائف الأنا لدى الطفل الصغير ، وبالتالي فان مراحل النمو المبكرة جدا تلعب دورا أساسيا في البناء الكلي لشخصية الطفل " إن التنشئة العاطفية والفكرية للطفل الصغير لا يمكن تشكيلها أو تحديدها عن طريق علاقة الأم - الرضيع فقط " - وهذا ما أكدته دراسات الغياب الأبوي والتي توصلت إلى أن غياب الأب يترك أثرا شديدة وعنيفة على جوانب الشخصية وأن لها نتائج عكسية على سن الطفل وقت الفراق .

لقد أظهرت ملاحظات ناش 1965 Nach وجرينبرج وموريس Green & morris 1974 وكذلك ملاحظات جرين 1976 Green إن مرحلة الطفولة مرحلة حرجه لما لها من أهمية إذ يتم فيها التعلم المتبادل بين الطفل وأبيه فالأب يتعلم كيف يشعر بمشاعر قوية وقرينة تجاه ابنه وكذلك الطفل يتعلم أن يرتبط بابيه وبالتالي فإن هذه الفترة لها من الأهمية مما يجعل أن من واجب الأباء أن ينتبهوا لها ليحرصوا أن يكتسبوا الخبرة التي بها لأنه إذا أنقضت هذه الفترة بدون هذه الخبرة فلن يتمكن كل من الطفل والأب من تعويضها لأنه لن يكون لديهما الاستعداد للمرور بهذه التجربة لأن تكون لديهما المشاعر التي فقدت في هذه الفترة .

إن الخمس سنوات الأولى من عمر الطفل مهمة وحاسمة في تشكيل شخصيته لهذا فإن الوجود الأبوي له من الأهمية الشديدة التي يجب ألا نغفلها " فإن السنين التالية من حياة الطفل تسهم في تحديد الشكل النهائي الذي سيصبح عليه الطفل الذكر "

ويرى الباحث أن للدراسة أهمية بالغة وعلاقة قوية لفهم كيفية تكوين صورة الأب منذ الطفولة المبكرة وقبل أن يدخل الطفل في مرحلة اليتيم بوفاة أبيه في المرحلة العمرية التي تتجاوز السادسة حسب خصائص العينة محل الدراسة التي أقوم بها لذا أرى أن : علاقة الأب بالأم تلعب دورا مهم في إيجاد التوافق النفسي العام وما تدعمه من الشعور بالأمن الاجتماعي ، وبالتالي فإن الطفل عندما يجد أباه غير متوافق مع أمه تتكون لديه صورة عن أباه وهي أن أبيه هذا لا يستطيع أن يوفر له الأمن الاجتماعي ، كذلك تلعب الأم دورا في تكوين هذه الصورة لما قد تقدمه عن أبيه سواء بالسلب أو الإيجاب وبالتالي فإن الطفل عندما يشعر بعدم الأمن الاجتماعي لما تلقاه من صورة سلبية عن أبيه فإنه غالبا ما يعتمد على الأم وليس الأب مما يجعل صورة الأب التي تكونت عنده ضعيفة غير قادرة على توفير الأمن الاجتماعي له هذا وإن اتجاهات الأم وسلوكها داخل الأسرة وداخل إطار الحياة الزوجية إذا كانت ايجابية تجعل صورة الأب لدي الطفل صورة ايجابية مؤثرة ونشطة قادر على العطاء المادي والسيكولوجي ويؤثر في هذا الأمر ما تسعى إليه الأم من إخفاء نقائص الأب وتمويهها وقد يحدث العكس فقد يكون الطفل لوالده صورة ضعيفة مذبذبة عاجزة على إشباع حاجاته الوجدانية العميقة وأيضا عاجزة عن مواجهة الحياة الاجتماعية لما قد تقدمه الأم من إظهار نقائص وسلبات الأب وعدم التوافق بينها وبين الأب . فكل هذا يظل كامنا داخل الطفل حتى بعد فقد أبيه ودخوله حياة اليتيم وعندما يصل إلى مرحلة المراهقة تنعكس هذه الصورة على توجهاته نحو السلطة . (شادية حسن ، ١٩٩٣ : ٢٦ - ٣٣ )

### غياب الأب [الهفاه] وتأثيره على شخصية المراهق :

لقد أوضح لاندي وزملاؤه Landy & et al ( ١٩٦٨ ) أن الأولاد الذين يعيشون بدون أب ، يكون معدل النمو المعرفي لديهم بطيئا . يرى بللر : Biller ( ١٩٧١ ) أن النمو الذكري السليم healt hymascaline development للابن الذي يعيش بدون أب يتطلب من الأم " أن تظهر أمام أطفالها الذكور مشاعر موجبه تجاه ذكوره الأب أو رجولته وذلك من خلال استخدامها لخصائص أو صفات مناسبة مثل الكفاية والافتقار Competence والقوة Strength واللياقة البدنية physical powess " هذا ويرى بللر : أن تأويل الأم للأب في غيابه أمر له أهمية بالغة في نمو شخصيه الأطفال الذكور . فعندما يكون الأب غير موجود فعلى الأم أن تقوم بدور أكثر فاعليه في تنميط الجنس Sextyping .

يري بللر وبام Biller&Bahm أنه إذا تغيب الأب قبل أن يصل الطفل سن الخامسة فإن مفهوم الذات الذكريه عنده يرتبط ارتباطا وثيقا بتشجيع الأم للابن ، على أن يتصف بصفات ايجابية مثل : الشجاعة والقوة والتمسك بهذه الصفات سلوكيا لدعم روح الرجولة والذكورة في داخله . كما يشير لاندي وزملاؤه Landy & et al ( ١٩٦٨ ) إلى أن الإخوة والأعمام والأجداد للطفل اليتيم الأب يستطيعون تقديم إسهامات في إظهار مشاعر موجبه تجاه ذكوره الأب الغائب أو رجولته من خلال صفات ايجابية مناسبة .

ويرى بدرسون Pederson ( ١٩٦٦ ) أن " الأمهات ذوات الصحة النفسية السليمة يكن اقدر على معادلة آثار غياب الأب ، وتجنب عواقب هذه الآثار في نمو شخصية أبنائهم .

أوضح هليجارذ وزملاؤه Helgard & et al ( ١٩٦٠ ) " أن قوة الأنا عند الأم الأرملة ، كما تظهر في قدرة هذه الأم على الاضطلاع ببعض وظائف الأب واستخدام كل الإمكانيات والمصادر المتاحة تعد ذات أهمية بالغة في نمو شخصية الأبناء الذكريين " ( إبراهيم قشوق ، ١٩٨٩ : ٢٤٤ - ٢٤٥ )

التثبيت الوالدي Fatherfixation في مرحلة الطفولة له آثار على تكوين صورة الأب عند المراهق اليتيم حيث يعرف بأنه هو التعلق البالغ بالقوة ، المرضي أحيانا ، والانفعالي بالأب ، تمركز الانتباه والشعور حول الأب مع استبعاد إلى حد ما الآخرين من الأشخاص إلى جانب عجز نسبي عن صرف الانتباه إلى هؤلاء الأغيار من الأشخاص في كتابات فرويد المبكرة : عقده إليكترا التي هي حب البنات المفرط لأبيها وفي الكتابات المتأخرة توسعت عقده أوديبوس لتشمل علاقات حب الأبن للأم والبنات للأب . يقول أرنست جونز وإذا بحثنا في مادة وأصل الأنا المثالي اكتشفنا انه مركب من مكونين اثنين يستمدان من الأب والنفس على الترتيب . كالنرجسية الأصلية للطفل تصبح في مجرى النمو موزعة في أربعة اتجاهات والجزء الفعلي في كل من هذه تتفاوت تفاوتا كبيرا عند مختلف الأفراد . فجزء يبقى على حال ارتباط بالأنا الحقيقي لا تتبدل ولعل ذلك هو الجزء المختص بنشأة توهم المرض hypochondria وجزء ثان يحرف أي هدف جنسي مباشر ويصبح متعلقا بفكرة الوالد مؤديا بذلك للتفديس والإخلاص وفرط التقيد عموما . ومن المهم أن نضع في الاعتبار أن البدء بهذه العملية مسألة تقمص نرجسى أكبر منها بكثير أو صورة من صور حب الموضوع أيا كانت . أما الثالث من الأجزاء فيحول إلى أنا مثالي ويكون بذلك أحد مكونات مثاليه الأنا ، والرابع يتحول بالتدريج إلى حب موضوع ما أو موضوع حب . ومن هنا فإن الثاني والثالث من هذه المكونات يمتزجان أثناء طور الكمون من أطوار الصبا بل قبل ذلك والصورة التي يتخذها الأنا المثالي الناتج هي في معظمها مستمدة من أفكار واتجاهات الأب العقلية . الرباط يتم من خلال الجزء الثاني الليبدو والنرجسى السابق الإشارة إليه ، والذي يتعلق بما يمكن أن نسميه مثال الوالد ، من ناحية أخرى فالطاقة التي تعطي الأنا المثالي دلالاته تستمد كليها في نهاية الأمر من الليبدو النرجسى وهناك طرق ثلاثة لذلك :-

١- أما مباشرة من النرجسية الأصلية للانا الأولى أو الابتدائي

٢- عن طريق التعلق بمثال الأب أو الأب المثالي

٣- عقب خيبه الأمل في إرضاء موضوع الحب، غالبا ما يحدث عن طريق النكوص إلى تقمص نرجسى مع الأب . ( كمال دسوقي ، ١٩٩٠ : ٥٣٩ )

لقد سعي الإنسان إلى أن تكون مضامين عقله صور صادقة أمينة لمضامين العالم الخارجي من وظيفة [ العملية الثانوية Secondary process ] فإذا اتفقت فكرة عن شئ ما

مع الشيء نفسه قيل إنها متطابقة أو متماثلة معه ، والتطابق والتماثل بين الأفكار من جهة الواقع ، ومن جهة أخرى لا بد أن يكون تطابقاً قريباً وتماثلاً دقيقاً وذلك في حالة ما إذا أردنا أن تؤدي الخطة التي رسمناها للعمل إلى الهدف الذي نسعى إليه . وعملية التطابق أو التماثل هذه يترتب عليها تحول الطاقة إلى ( هدف محدد هو تكوين أمثالات عقلية دقيقة عن العالم الواقعي ) وقد لاحظنا أن الهو يستمد من هذه الطاقة مكونات تكوين صورة عقلية لا يراعي في تكوينها أن تكون مطابقة للواقع ، وفي نفس الوقت يكون الهو ليس لديه أى فكرة عن ذلك الواقع .

ومن هنا يقوم التفكير المنطقي مقام التفكير الإشتهائي وفي حالة انسحاب الطاقة من الهو لتستنفذ في عمليات معرفية ، يحدد نقطة البداية في تكوين نمو الأنا وشأنه . هذا ونلاحظ أن التغيير الذى يطرأ على الشخصية أو التوافق في مسار نموها متوقف على حصول الانفصال أو التمايز بين الذات ( أو العقل ) والموضوع ( أو المادة ) وسنجد أن الانفصال أو التمايز غير موجود عند الهو مما يترتب عليه استحالة حدوث هذا التماثل أو التطابق . ويقصد بحدوث هذا التماثل أو التطابق الاتحاد بين الصورة العقلية للشيء والشيء نفسه ، يمكن أن يكون نوعاً من التطابق أو التماثل البدائي . أن الشعور بالإحباط والحاجة للتعلم يترتب عليها حدوث تمايز بين العقل من جهة وعالم الواقع من جهة أخرى وذلك أن الهو ليس في استطاعتها إشباع الحياة من حاجات حيوية بواسطة العقل المنعكس أو التفكير الإشتهائي وحدهما . لذا وجب على الفرد أن يتعلم الفرق بين الصور الذهنية أو العقلية وبين الواقع ، وذلك للحفاظ على نفسه ، وضمان استمرار البقاء والحياة .

إذا كان الفرد لديه الاستعداد الفطري الأكيد لكي يميز بين الحالات العقلية الداخلية والواقع الخارجي فلا بد له من خبرة تنمي لديه هذا الاستعداد الفطري . لذلك فإن الطفل منذ بداية مراحل العمر المبكرة يتعلم كيف يميز بين ما هو في ذهنه وبين عالم الواقع كما تلعب التربية دوراً مهماً في ذلك حيث أنها تعمل على تحقيق الاتفاق بين الصورة الذهنية وما هو موجود بالعالم الواقعي أي انه يتعلم كيف يماثل ويطابق بين الاثنين . وخلاصة القول هو أن الصورة العقلية والشيء الذي تمثله هذه الصورة بمثابة شيء واحد ولذلك نجد أن الشخص الذي يخبر الهلوس لا يستطيع أن يميز بين الهلوس وبين الحقيقة الواقعة . انه في حاله التماثل أو تطابق الأشياء الموجودة في العالم الواقعي مع أمثالاتها العقلية الذاتية نلاحظ أن الشحنات الانفعالية التي كان يخترنها الهو داخل الأشياء والموضوعات ذاتها تتحول وتصبح مستودعة في الإمتثالات العقلية لهذه الأشياء . لذلك تسمى هذه الشحنات بشحنات الأنا ( ego – cathexes ) وذلك كتميز لها من الأشياء أو الموضوعات الغريزية التي يختارها الهو . لذلك نجد أن الطاقة تتحول من مجراها الأصلي إلى اتجاه جديد وهو أنها تستخدم في إيجاد التفكير الواقعي ( العملية الثانوية ) وكل هذا يتم عن طريق قيام التطابق أو التماثل هذا ونجد ان عملية الطاقة التي تتحول وتستخدم في إيجاد التفكير الواقعي الذي يحل محل التفكير الإشتهائي والذي يعتبر من قبيل الهلوسة .

( العملية الأولية ) . لذلك نقول ( أن إعادة توزيع الطاقة من الهو إلى الأنا خطوة دينامية رئيسية في نمو الشخصية ) أن وظائف الأنا التي تستند إلى العقل Sational تحقق نجاحاً كبيراً في إشباع الغرائز ، لذلك نجد أن كثيراً من الطاقة يتحول من مستودع الهو إلى مستودع الأنا مما يؤدي إلى زيادة قوة الأنا وضعف الهو بشكل كبير ، وفي حالة عدم استطاعة الأنا إشباع مطالب الهو نجد أن شحنات الأنا تحولت إلى شحنات الموضوع

( Object cathexes ) الغريزية كما نجد أن التفكير الإشتهائي الطفلي قد استعاد سيادته مرة أخرى . وبالتالي نجد أن العملية الأولية قد تنشط أثناء اليقظة للفرد ( وذلك في حين يعجز الأنا عن تحقيق النتائج المطلوبة بصفة مباشرة ) وهذا هو التفكير الإجتراري autistic thinking أو الإشتهائي Wish hul thinking ومن الملاحظ أن الشخص الذي عنده رغبة شديدة في تحقيق شيء ما كثيرا ما يندفع ، ويتوهم أن هذا الشيء قد تم تحقيقه بالفعل . ولنعرف جميعنا أنه من السهل أن نطلق لتحيزاتنا ورغباتنا عنان تفكيرنا حيث أننا غالبا ما تكون " عرضة على الدوام للوقوع في شباك التفكير الإشتهائي " . أنه في حالة ما تكون ظروف الشخص عادية وسويه فنجد أن الأنا عنده غالبا ما يحتكر مستودع الطاقة النفسية ، ثم يقوم بأخذ قدر كبير من طاقة الهو تصبح له القدرة على استخدامها في أغراض غيرا الأغراض التي تشبع الغرائز . فالأنا يستخدم كل هذه الطاقة في " إنما العمليات النفسية المتعلقة بالإدراك الحسي والانتباه والتعلم والتذكر والحكم والتمييز والاستدلال والتخيل " ( كالفن س هول، ١٩٦٧ : ٤٤ - ٤٧ )

### الخبرات الانفعالية الأولى وتأثيرها على تكون صورة الأب عند المراهق اليتيم :

يري الباحث إن الطفل لديه حاجات يريد إشباعها لذلك فهو يفعل بالسلب أو الإيجاب لمواقف الآخرين تجاه إشباع حاجاته . وحيث أن هذه الحاجات تتكرر بصفة مستمرة لكونها حاجات ضرورية للحياة اليومية الأمر الذي يجعل هناك ارتباطا في ذهن الطفل بين هذه الحاجة واستجابة الآخرين لها وبالتالي ينتج من تكرار هذه المواقف خبره انفعاليه خاصة تتعلق بهذه الحاجة ذاتها وأن هذه الخبرة ستؤثر في سلوك الطفل وخاصة بعد أن يفقد أباه ويدخل في مرحلة اليتيم لأنه يتوقع أن تلقى هذه الحاجة من الآخرين ما كانت تلقاه من قبل سواء إشباع أو حرمان ومن هنا يفهم أن الحاجات التي كانت تلقى إشباع في المرحلة الأولى من العمر وقبل اليتيم سوف تعمل على إيجاد ارتباط في ذهن الطفل بين إشباع هذه الحاجة وبين الأب . فعندما يفقد الطفل الأب بالوفاة وينتقل إلى مرحلة اليتيم يظل هذا الارتباط قائما بين إشباع هذه الحاجة وصورة الأب في ذهنه ومن هذا المنطلق يتكون لديه توجه معين نحو السلطة وهذا التوجه له علاقة قوية بإشباع هذه الحاجة التي ارتبطت عنده بصورة الأب هذا بالإضافة إلى أن الخبرة الانفعالية الأولى في الطفولة الأولى والتي أرتبط بها إشباع أو حرمان الحاجات العضوية والنفسية لها أكبر الأثر في تحديد الشخصية وملامحها لدى المراهق اليتيم . لذلك لو حللنا الخبرات الأولى من حيث إشباع الحاجات أو كبتها وتوصلنا إلى مدى كان يتحمل هذه الخبرات الانفعالية قبل اليتيم أو يصدم بها فإننا نستطيع إلى حد ما أن نتنبأ بصورة الأب في داخله . وفي نفس الوقت نستطيع أن نفهم إلى حد ما توجهاته نحو السلطة والعوامل والخبرات التي تدخل في تكوينها مما يزيد من أهمية هذه الخبرات الانفعالية الأولى في حياة الفرد أن هذه الخبرات الانفعالية غالبا ما تدخل في دائرة النسيان ولا يستطيع الفرد أن يتذكرها عندما يكبر كي يعمل على فحصها ويتخير الايجابي منها هذا بالإضافة إلى أن حركة النمو أحد العوامل التي تساعد على نسيان هذه الخبرات بفعل أن الإدراك العقلي غير قادر على تنظيم هذه الخبرات وتحليلها بوضوح .

إن المواقف الانفعالية التي يمر بها الطفل منذ أيام حياته الأولى تؤثر في سلوكه وتفهمه للحياة وخاصة في مرحلة المراهقة وما بعد المراهقة .

إن النسيان للخبرات الانفعالية الأولى ما هو إلا اختزانها في اللاشعور وحيث أن النمو للفرد يتم على مراحل وله مستويات من النضج المتتالي فإن انفعالات كل مستوى من مستويات النضج وخاصة البارز منها تلصق به بالإضافة إلى أن الخبرة الخاصة بهذه المرحلة من النمو تنطبق بها لدرجة يكون من الصعب الفصل بين الخبرة المؤلمة والانفعال الذي يرتبط بها . فقد أثبتت الدراسات والملاحظات العلمية " أن استجابة شخص ما لأي من أحداث حياته قابلة لأن تتأثر في جزء منها على الأقل بالخبرة السابقة التي ارتبط بها حدث مماثل أو شبيه للموقف الذي يمر به في موقفه الراهن " لذلك فإن المراهق اليتيم إذا اصطدم بموقف ما مع أحد أفراد السلطة فمن المحتمل أن يكون هذا الموقف مذكرا له بخبرة مؤلمة أو خبرة سارة كان قد مر بها قبل اليتيم ( كمال دسوقي ، ١٩٧٩ : ١٥٧ - ١٦٠ )

" ذكرت جوسلين Josselyn ( ١٩٥٢ ) وهي باحثة تمثل الاتجاه الارثوذكسي في مدرسة التحليل النفسي - وصفا دقيقا لموقف صبي في فترة المراهقة المبكرة . وتقول جوسلين أن أم الصبي كانت تواصل تهديدها له بل كانت تقوم بمعابرتها إياه نظرا لأن هذا الصبي كان ابنها الذي يعتمد عليها . وقد وصل الأمر بهذه الأم إلى حد أنها نجحت في تأكيد أو تجسيد إفتقاد الابن للمركز أو المكانة باعتباره إنسان راشد مما ترتب على ذلك إحساس الصبي بالنقص أو الدونية الجنسية . وترى جوسلين انه ليس من الغريب في مثل هذه الظروف أن يضطر الابن إلى الاتجاه خارج نطاق الأسرة كي يتلمس موضوعا ما للحب هذا ومن المحتمل أن تتضاءل أو تتلاشى رغبة الابن السابقة في تنميط نفسه مع ازدياد نمو حاجته إلى تأكيد ذكورته وفق نموذج الأب أي تختفي رغبته في أن يصبح شبيها بالرجل الذي أعجبت به أمه أكثر من غيره ( إبراهيم قشقوش ، ١٩٨٩ : ١٣٩ )

يرى الباحث أن الأم وهي تمثل سلطة بالنسبة لابنها المراهق لعبت دورا سلبيا في تكوين صورة الأب عند أبنها حيث تمادت في معاملتها القاسية له مما جعل الابن يشعر انه فقد مركزه ومكانته التي كان يطمح أن يفتخر بها وهي إنسان راشد هذا بالإضافة إلى أنه قد تكون عنده إحساس بالنقص والدونية الجنسية الأمر الذي يدفعه إلى الشعور بعدم الرغبة في تنميط نفسه في الوقت الذي تنمو فيه حاجته إلى تأكيد ذكورته وفقا لنموذج الأب مع اختفاء رغبته في أن يصبح شبيها بأبيه ووفقا لكل هذه الأمور . أدى أنه من المؤكد أن صورة الأب في ذهن وخيال هذا المراهق تختلف عما لو كانت معاملة الأم ايجابية وعكس كل ما فعلت معه تماما والدليل على رأي هذا أن المراهق وكما ذكرت جوسلين اختفت رغبته في أن يكون شبيها بالأب الذي فضله أمه على باقي الرجال وهذا يدل على أن صورة الأب هذا لدي المراهق تكونت من خلال مدخلات سلبية تلقاها من احد أفراد السلطة وهي الأم وبالتالي يكون لسلوكيات السلطة ومعاملتها للفرد اليتيم دورا مهم في تكوين صورة الأب في ذهنه

إن الأمر لم يتوقف عند حد تكوين صورة الأب وتأثرها بالحاجات النفسية بل أن الأمان العاطفي هو أساس لانتظام حياة الطفل النفسية واستقرار مشاعره الاجتماعية مع تمركز هذه المشاعر حول هذه النواة الأولى التي تكونت في محيط الأسرة قبل فقد الأب والدخول في مرحلة اليتيم الأمر الذي ينعكس على توجهات هذا الطفل نحو السلطة عندما يصل إلي مرحلة المراهقة .

كذلك يري الباحث أنه قد أثبتت الدراسات أن الحب الأبوي والأمان العاطفي والدفء الأسري والاستقرار النفسي وخاصة في المرحلة العمرية الأولى من الطفولة له نتائج ايجابية على الازدهار من الناحية الجسمية بل أكثر من هذا له نتائج ايجابية على الأذهان فمن

المؤكد أن كل هذه الحاجات النفسية تنمي في الأطفال اتجاهات شخصية معينة تعمل علي النمو العقلي والنفسي السليم وقد يحدث العكس في حالة عدم إشباع الحاجات النفسية بسبب فقد الأب والدخول في مرحلة اليتيم فان الحرمان وعدم إشباع الحاجات النفسية ينمي اتجاهات شخصية معينة تعوق النمو العقلي والنفسي السليم الأمر الذي يكون له تأثير بالغ الأهمية علي تكوين صورته الأب في داخل الفرد وخاصة في مرحلة المراهقة مما قد ينعكس علي توجيهات هذا المراهق اليتيم نحو السلطة ومن هذا المنطلق نستطيع القول أن صورته الأب عند المراهق اليتيم تتأثر تأثراً كبيراً بمدى إشباع الحاجات النفسية المتعددة . وأيضاً تتأثر بمدى فاعلية الدور الذي لعبه الأب قبل موته في حياة الطفل بالإضافة إلي دور الأم في تنميط الجنس وكيفية تقديم شخصية الأب للطفل هذا بالإضافة إلي باقي العوامل الأخرى كأفراد الأسرة ومدى تأثيرهم في إشباع الحاجات النفسية لهذا الطفل . كل هذه الأمور والأدوار هي العامل الأساسي في تكوين صورة الأب عند المراهق اليتيم وأيضاً في تكوين توجهاته نحو السلطة .

يرى فينخل أن الظواهر الشعورية ليست ببساطة اقوي من الظواهر اللاشعورية ، لا ولا من الصحيح أن كل ما هو لا شعوري هو المحرك الحقيقي للنفس وان كل ما هو شعوري هو مجرد ظواهر فرعية عديمة الأهمية . إن عملية الانتباه البسيطة التي بها نستدعي ذكريات كثيرة إلي الشعور ومن هذه الذكريات ما يتعلق بالأب الذي فقدته المراهق اليتيم وهو في طفولته . كل هذا يعتبر في نظر فينخل عديم الأهمية وان كانت لا شعورية تسمى ( قبل شعورية ) ويرى فينخل عدم الأهمية يرجع إلي وجود ظواهر لاشعورية أخرى لها من القوة والشدة ما يجعلها تحاول وتجاهد من اجل الإفراغ ولكن تبقى كما هي قليلة نظراً لوجود قوي أخرى مساوية لها في الشدة تظهر في صورة (مقاومه ) . أما بالنسبة للمواد اللاشعورية والتي تحت هذا الضغط الشديد يكون لها غاية واحدة هي الإفراغ . أما بالنسبة لطاقتها التطبيقية الحركة فيرى فينخل أنها تتوجه وفق (العملية الأولية ) ويقصد بذلك أن هذه الطاقة تعتبر متحررة من مطالب الواقع والزمان أو النظام أو الاعتبارات المنطقية . لذلك فان هذه المواد اللاشعورية تعاني التكتيف والإزاحة محاوله الوصول إلي ما يحقق لها إمكانية للإفراغ ويعتبر هذا هو أسلوب العقل الأوانلي الذي يظل فعالاً داخل اللاشعور بينما يتدرج في الفاعلية والتفاعل في الأجزاء الأكثر تمايزاً ( أوتو فينجل ، ١٩٦٩ : ٥١ ج ١ )

إن ما يحدث للإنسان في الحاضر ما هو إلا إدراكات ومشاعر تمثل خبرات مباشرة عن أشياء تحدث . أما الذكريات والأفكار هي إمتثالات عقلية لخبرات سابقة ولكي تكون هذه الأفكار والذكريات شعورية لابد لها من لغة فالإنسان لا يمكن أن يفكر أو يتذكر شيئاً ما إلا إذا كان هذا الشيء مرتبطاً بكلمات رآها أو سمعها كذلك فالإنسان لا يمكن أن يتذكر خبراته الطفولية ويستجمعها في حيز الشعور قبل أن يبدأ النمو اللغوي . ومع إننا لا نستطيع تذكر الخبرات الأولية إلا إنها عامل أساسي وخطير في تطور الشخصية .

ولقد ميز فرويد بين نوعين من اللاشعور هما : ١- ما قبل الشعور ٢- اللاشعور الصرف فكل ما يصبح شعوري بسهولة هو في ما قبل الشعور ويرجع ذلك إلي أن المقاومة ضعيفة . أما الفكرة أو الذكري اللاشعورية من الصعب أن تصبح شعورية بسهولة لان المقاومة شديدة هذا وتوجد مستويات مختلفة للاشعور منها الذكري التي لا يمكن أن تصبح شعورية إطلاقاً لأنها غير مرتبطة باللغة . ومنها أيضاً الذكري التي تكون علي طرف اللسان . أن أي عملية عقلية لكي تصبح شعورية فان الأمر يتطلب تركيزاً شديداً نسبياً للطاقة . فان الطاقة في مثل

هذه الحالة لا بد أن تحول من عمليات عقليه أخرى" فيمكن أن نعي شيئا واحدا فقط في موقف معين " ولكن سرعة انتقال الطاقة من فكره إلى فكره أو من ذكري إلى ذكري أو من إدراك إلى إدراك أو من شعور إلى شعور يجعل من الممكن وجود مدي واسع من الوعي الشعوري في مدي زمني قصير لذلك فالإنسان يمكنه أن يفكر بسرعة في أشياء كثيرة يستدعيها من ذاكرته ويرجع ذلك إلى سهوله توزيع الطاقة النفسية عندما يكتشف الجهاز الإدراكي موضوعا خطرا أو ذات أهمية كبرى وكان متوقعا (كامنا) فانه يميل إلى التركيز علي هذا الموضوع أو الخطر وهكذا فان الأفكار والذكريات يستدعيها الإنسان من ما قبل الشعور لكي تساعده علي مواجهة الموقف وعندما ينتهي الموقف أو الخطر أو أشبعت حاجته يقوم العقل بتحويل الانتباه إلى أمور أخرى (كالفن س هول ، ١٩٩٧: ٦٣- ٦٤)

يري فرويد : أن التوجه الصحيح في عملية التحليل النفسي هو إخراج الأفكار والأشياء اللاشعورية إلى أخرى شعورية وبذلك يبطل الكبت وتنتهي الشروط التي تهيمن علي تكوين الأعراض وبذلك يتم جعل اللاشعوري مشعورا به مما يساعد علي إبطال ضروب الكبت ونقصان المواد اللاشعورية وزيادة المواد الشعورية بعض الزيادة عن ذي قبل.

كما يري فرويد : أن علي المحلل النفسي أن يلتمس المادة اللاشعورية في ذكريات الفرد عند النقطة التي تكونت فيها أصلا نتيجة الكبت ( سيجمند فرويد ، ١٩٩٠ : ٤٨١ - ٤٨٣ )

يشير فرويد : أن قدرة الليبدو علي أن تثبت علي بدن الفرد وعلي شخصه إنما يدل علي تتعلق بموضوع خارجي وفي هذه الحالة لا يمكن أن تكون ظاهرة شاذة أو ليس لها دلالة ، بل يرجح فرويد أن تكون النرجسة هي الحالة التي يتولد عنها محبة الموضوعات فيما بعد ، دون أن يترتب علي هذا بالضرورة أختفاء النرجسية أي عشق الذات ، أيضا يري فرويد أن كثيرا من النزعات الجنسية تفوز بالإشباع في بداية الأمر بأسلوب شهوي ذاتي ، وأن هذه الشهوية الذاتية هي التي تفسر تأخر الوظيفة الجنسية في التكيف لمبدأ الواقع الذي تفرضه التربية . ( سيجمند فرويد ، ١٩٩٠ - ٤٦٠ ) .

يقول فرويد : " أن أشعاع الليبدو علي الموضوعات إشعاعا قد يبقى وراءه أكبر جانب متعلقا بالأنأ ، كما نسلم بأن الليبدو الأنوية لا يشق عليها أن تتحول في الظروف العادية إلى ليبدو موضوعية وأن هذه الأخيرة قد ترتب إلي الأنأ في هذه الظروف أيضا " .

لذلك يري فرويد : أن الموقف النفسي في حالة النوم تقوم الليبدو علي أنسحاب الفرد من العالم الخارجي وخضوعه للرغبة في النوم ، لذلك فإن النشاط النفسي الذي يظهر في الأحلام يخدم هذه الرغبة وأن الدوافع التي تهيمن علي هذا النشاط دوافع أنانية فقط ، لذلك يصف فرويد هذه الحالة علي ضوء نظرية الليبدو بأنها حالة تنسحب فيها جميع الشحنات المفرغة علي الموضوعات سواء كانت شحنات ليبيدية أم أنانية وترتد فيمتصها الأنأ مرة أخرى .

( سجمند فرويد ، ١٩٩٠ : ٤٦١ )

قد يكون الفرد ذا أنانية مطلقة وهذا لا يمنعه من أن يفرغ قدر كبير من طاقة الليبدو علي موضوعات معينة مثل صورة الأب والإتجاه نحو السلطة وذلك بقدر ما يكون الإشباع الليبيدي من هذه الموضوعات حاجة يلتمسها الأنأ : " هنا ترقب أنانيته ألا يكون في طلب هذه الموضوعات ما يضر الأنأ " . ( سجمند فرويد ، ١٩٩٠ : ٤٦٢ )

يري يونغ أن الشعور الجمعي يتكون من النماذج الأولية والتي تعرف بالتركيبيات وهذه النماذج عبارة عن الأفكار العامة التي تحتوي علي خبرات الإنسان البدائية والصور الأولية التي كونت من خلال المعاملات والاحتكاكات بين الفرد والوسط الذي يعيش فيه ومن هنا تصبح هذه الخبرات البدائية والصور الأولية خبرات شاملة وفطرية يتمتع بها البشر جميعا ويعتبر اللاشعور هو مخزن لهذه النماذج الأولية ومركز التصورات الجماعية .

يعتبر يونغ " أن اللاشعور الجمعي والنماذج الأولية هي نتاج داخلي لنفسية الإنسان وعقله " حيث تكمن الأفكار والأمثال التي ورثها الفرد ونظرا لوجود هذه الموروثات في اللاشعور فهي تبرز علي شكل رموز مختلفة وهذه الرموز يمكن إدراكها عن طريق تحديد الهدف المتجهة إليه الذات الإنسانية ومن هنا اهتم يونغ بدراسة الرموز والأحلام التي تساعد علي فهم اللاشعور الجمعي ( فيصل عباس، - ص : ١٢٧ )

### **البنية النفسية وانعكاسها على صورة الأب عند المراهق اليتيم :**

إن سنوات العمر الأكثر غموضا هي أبكر وبالتالي السنوات ليس من الضروري في جميع الأحوال الرجوع إلي أبكر فترة عمرية لتحليل عصاب أو معرفة صورة الأب حيث تتزايد الصعوبة في الإمساك بالاستجابات النفسية في هذه المرحلة العمرية الباكرة . كذلك أيضا يصعب الإمعان في الفترات العمرية التي لم تظهر فيها اللغة بعد بالإضافة إلي انه ما تزال يوجد بها كثرة من الوظائف غير متميزة (اوتوفينخل ، ١٩٦٩ : ١٩١ ج١)

يري الباحث انه ليس كل ما في ذهن المراهق اليتيم عن أبيه هو كل صور الأب . وكما توجد مثيرات يدركها الفرد ليست شعورية وتوجد إدراكات مكبوتة كذلك من الممكن أن يكون لدي المراهق اليتيم صورة مكبوتة عن أبيه قد نري رموزها في سلوكياته الحياتية أو سلوكياته مع السلطة أو من خلال توجهاته نحو السلطة . وبالتالي فان تبادل العلاقات بين المراهق اليتيم والعالم الخارجي تتم عن طريق تبادل هذه الإدراكات وحيث أن فينخل يري أن عملية التصور المنتظم للواقع يعتمد علي القدرة علي استخدام الذكريات كبقايا إدراكات سابقة .

كما يري الباحث أن المراهق اليتيم قد يتخبط في قبول لهذا الواقع والتعايش معه نظرا لان ما يحمله بداخله من أسس مبنية علي صور الأب في ذهنه ليست هي فقط التي تحركه ولكن توجد ذكريات وأسس اجتماعية مكبوتة لها علاقة بصورة الأب المكبوتة تظهر علي مستوي أقل من مستوي الإدراكات وحيث أن الأشياء المكبوتة تتألف من الأفكار والتصورات المرتبطة بالحفزات المطرودة. فإننا نجد أن بعض الحفزات المطرودة من المراهق اليتيم قد تحمل أفكار وتصورات معينة عن صور الأب بداخله وبالتالي نستطيع أن نفهم ماهية هذه الصور وما مدي التعزيز الذي عززت به هذا المراهق من قيم وإيجابيات أو العكس قد لا نجد إيجابيات من خلال الحفزات المطرودة والتي تعبر عن الصور والأفكار المكبوتة وأحيانا نجد الفرد يحجم عن الإفراغ نتيجة لفروض فرضتها البيئة علي النفس ويعتبر الواقع هو المسئول عن منع أنا المراهق اليتيم للخضوع مباشرة لاندفاع الحفزات للإفراغ . هذا وتوجد أشياء عن صورة الأب صعب فهمها لأنها تتعلق بأبكر سنوات العمر للفرد .

" إن الحالة الأولي المجردة من أي تصور للموضوع تسمى النرجسية الأولية " . أما بالنسبة للاستجابات الأولي للموضوعات التي يتم تثبيتها فهي كثيرة ومعظمها متكامل ومتحد ومن الممكن أن يزيداد تمايزا في وقت لاحق وتعتبر هذه الاستجابات كالمنعكسات أي أن كل

مثير لا بد له من استجابة وقتيه في الحال وذلك وفقا لمبدأ الثبات . إن استقبال المثير وإفراغه الإدراك والاستجابة الحركية لا ينفصلان لأنهما متلاصقان ومتشابكان . لذلك فان:

الإدراك الأولي أكثر ما يميزه علي وجه الدقة هو قربته الشديد من الاستجابة الحركية . أما بالنسبة للارتباط الأصلي الذي يربط الإدراك والفعل الحركي يثبته فرويد في مقاله :

A not upon the mystic writing Pad . وعليه فهو يظهر النواحي الإيجابية في وظيفة الإدراك . إن المثيرات الشديدة التي تغمر الكائن العضوي وتأتي إليه من الخارج أي من العالم الخارجي فان الفرد يعيشها بصورة سلبية ولكنه يعمل علي إقامة وإيجاد جهاز إدراك بجانب جهاز حماية المثيرات الشديدة بحيث يعمل علي إحداث تغير واضح من السلبية إلي الإيجابية ويعتبر هذا هو الأساس في التمايز بين أجهزة الإدراك وأجهزة الذاكرة بالإضافة إلي أنه الأصل في نشأة شعور أكثر تمايزا . وبعد أن يتم هذا التمايز يكون الكائن العضوي " في وضع يمكنه من أن يحمي نفسه ضد التدفق المسرف للمثيرات بإغلاقه ووظيفة الإدراك " . إن الأنا حديثة التكوين في استطاعتها أن تنغمس من جديد في الهى ويمكن ملاحظة ذلك في الأعراض الصدمية التي تظهر علي الفرد هذا بالإضافة إلي أن ذلك يعتبر الأنموذج لكل الميكانيزمات الدفاعية اللاحقة . إن عملية الإغلاق هذه التي قامت بها الأنا

" يمكن استخدامها ضد الآلام الداخلية وضد الكدر الخارجي المصدر " وإذا نظرنا إلي الكبت فيمكن أن نعتبره انه غلق نوعي ( أوتو فينخل ، ١٩٦٩ : ٩٨ ج١ )

عندما يتقدم الطفل إلي مرحلة المراهقة تبقى تحريمات الأباء فعالة حتى في غيابهم وعليه قد يكون داخل نفس الفرد حارس دائم وهذا الحارس مهمته أن يندثر باقتراب محتمل لمواقف يمكن أن تؤدي إلي فقدان حب الأم أو ينبه باقتراب فرصة ما تساعد علي اغتنام حب الأم وبذلك يكون الحارس مضطلعا بالوظيفة الأساسية للأنا وهي : " التوقع الاستباقي للاستجابات المحتملة من العالم الخارجي اذاء سلوك الشخص " فجانبا من الأنا أصبح " أما داخلية " تهدد باحتمال سحب الحب ويعتبر هذا النوع من الاستنباط للأنا قد تم عن طريق عملية الإستدخال الذي يعتبر هو أول رغبة غريزية تتجه نحو الموضوعات وأيضا يستخدم الإستدخال فيما بعد كتعبير عن العدوانية لما له من قدرة علي إخفاء الموضوعات هذا بالإضافة إلي إنه يمكن وبصورة نكوصية أن يكون بديلا للموضوعات الأكثر تمايزا مع الموضوعات . وفي حالة استخدام الإستدخال كمحاولة للدفاع ضد الموضوعات غالبا لا يحقق نجاحا بل كثيرا ما يفشل ويرجع فشله إلي " أن الخوف من الموضوع الخارجي أن يستمر مع ذلك خوفا من الموضوع الذي تم إستدخاله " عندما يتم إستدخال تحريمات الأبوين فان ذلك يحدث تغيرا تكيفيا داخل الأنا وبالتالي يعتبر هذا النوع من التغيرات هو بداية الأنا العليا . وقد وصف فيرنزى هذا الوضع " بأخلاق العضلة العاصرة " وهذا المصطلح يؤكد علي أهمية التدريب علي النظافة في نشأة " قبل الضمير " فالطفل يواجه صراعا بين شدة الحفزات التي يجب قمعها من ناحية وبين المشاعر التي تكتنفه تجاه الراشدين والتي تتطلب هذا القمع من ناحية أخرى وبالتالي فهما الذان يحددان المحصلة . في الحقيقة انه كانت لدى الطفل الرغبة في أن يفعل كل ما يفعله الأب أي أن الطفل كان يسعى إلي التطابق مع أنشطة الأب لا مع تحريمات الأب . ( أوتو فينخل ، ١٩٦٩ : ٢٥٦ - ٢٧٧ ج١ )

يري فرويد : بأن في الأنا قوة تراقب وتنتقد وتوازن بصفة مستمرة وبهذا تكون هذه القوة مناهضة للجانب الأخر من الأنا وبالتالي فهو يقول : " أن الفرد يشعر في نفسه بسلطة

تزيد أنه الفعلي وكل وجه من موجه نشاطه بميزان أنا مثالي خلقه بنفسه لنفسه خلال نموه وتطوره . " كما يقول فرويد : أن الفرد يعتقد أحيانا أن الأنا المثالي خلق ليستعيد رضاه عن نفسه ذلك الرضا الذي كان لصيقا بالترجسية الطفلية الأولى ، وأن الفرد قد يعتقد أن رضاه عن نفسه قد لاقى صدمات وكثير من الحرمان منذ طفولته . كما يري فرويد أن الأنا المثالية الناقدة للأنا هي ما تعرف بالضمير ، وهي نفس التي ترصد الأحلام في أثناء النوم والتي تفرض الكبت علي الرغبات المرفوضة . ويقول فرويد : " إن الأنا المثالية تنشأ من تأثير الأبوين والمبريين والبيئة الإجتماعية عن طريق تقمص لبعض الأشخاص اللذين يتخذهم الطفل نموذجا ومثالا . " ( سيجمند فرويد ، ١٩٩٠ : ٤٧٤ - ٤٧٥ ) .

يري الباحث أن صورة الأب التي تكونت عند المراهق اليتيم متأثرة بكل نشاط الأب وفعله وبالتالي فان هذه الصورة وهذه الرغبة تنعكس على توجهات هذا المراهق اليتيم مع السلطة . فأحد الجوانب الأساسية لشخصية الأب هي المعايير والمثل وبالتالي إذا أراد الطفل أن يتطابق مع أبيه فانه بذلك تكون عنده الرغبة في أن يتطابق مع مثل ومعايير أبيه أما بالنسبة للتحريمات التي يتقبلها الطفل من أبيه إنما يتقبلها كجانب من عملية الارتفاع إلى مستوى هذه المعايير والمثل وأما الحافز الذي يعين الطفل على تقبل هذه التحريمات هو الرغبة الشديدة من الطفل في أن يصل إلى مثوية الشعور بأنه مثل الأب .

" إن الأنا تستعير من أبويها القويين القوة التي تمكنها من قمع عقدة أوديب وبذلك فان تصفيه العقدة الأوديبية تولد هذه الوثبة داخل الأنا البارزه والحاسمة والبالغة الأهمية للنمو اللاحق للأنا والتي تتميز بانتظامها على سلفها الطبيعي أنها الأنا العليا " أن الطفل يستدخل بعض السمات في أنه العليا من أبويه ومع ذلك وفي ظل ظروفنا الثقافية تظل أو تعد العقدة الأوديبية الأبوية هي الحاسمة بصورة عامة عند الجنسين معا . فان الأم التسلطية هي عامل أساسي في أن يكون ابنها الذكر عنده أنا عليا أمومية بارزه وهذا على خلاف القاعدة . نظرا لأن التطابق الأبرز يتحقق مع أي الأبوين لذلك يعتبره الطفل " مصدر الإحباطات الحاسمة وهو في عائلة الأبوة عادة الأب وفي حالات استثنائية الأم " " يبدو الأمر وكأنه في كل من الجنسين تضطلع القوة النسبية للاستعداد الجنس المذكور والاستعداد الجنس المؤنث بتحديد ما إن كان نتاج الموقف الأوديبى تطابقا مع الأب أو مع الأم تلك إحدى الطرق التي تسهم بها الجنسية الثانية في تحديد الأشكال المتباينة اللاحقة لعقدة أوديب " ( اوتوفينزل، ١٩٦٩ : ٢٥٦ - ٢٧٧ ج١ ) .

من الأسباب التي تؤدي بالطفل إلى أن يطابق بين نفسه وبين والديه هي التعاليم والمبادئ الخلقية الأمر الذي قد يدفعه إلى التوحد معهما وينتج عن هذا التوحد تكوين الأنا الأعلى وفي حالة ما تكون توحيديات الأنا واقعية فإننا نجد أن الأنا الأعلى ليست كذلك ويرجع ذلك إلى أن الأنا الأعلى تنظر إلى الوالدين وتعتبرهما وصلا إلى حد الكمال والقدرة المطلقة ومن هذه الرؤية للأنا الأعلى يتم التوحيديات التي تكونها مع الوالدين . مع الأخذ في الاعتبار أن الوالدين لهما سلطات كبيرة ومتعددة في عقاب وإثابة الطفل " ولهذا نجد أن الأنا الأعلى لها سلطة فرض العقاب ومنح الثواب أما الإثابة فتتولاها الأنا المثالية Ego idial والعقاب يتكفل به الضمير Conscience " أما بالنسبة للتحريمات التي يفرضها الضمير نجدها عبارة عن عمليات كفاء أو شحنات سلبية مضادة وهذه العمليات تقوم بوقف استنفاد الطاقة الغريزية مباشرة ويكون ذلك في صورة سلوك اندفاعي واشتهائي وأيضا من الممكن أن يكون وقف استنفاد الطاقة الغريزية بصفة غير مباشرة وذلك بواسطة ميكانيزمات الأنا وهنا نجد أن الضمير يقوم كل من الهو والأنا معا محاولا تقضيل مبدأ اللذة ومبدأ الواقع . لذلك نجد أن الفرد الذي لديه ضمير قوى يكون متحفزا ومتيقظا بصفة مستمرة ويرجع ذلك إلى ما

عنده من نوازع غير خلقية وبناء على ذلك نجده يستخدم قدرا كبيرا من طاقته ضد الهو مما يترتب عليه عدم بقاء جزء من الطاقة تمكنه من القيام بعمل منتج يحقق له الارتياح والرضا مما يجعله بدون حراك غير متفاعل عمليا الأمر الذي يجعل حياته راكدة أما بالنسبة للضمير فان الشحنات المضادة الخاصة به تختلف عن الذي عند الأنا ولكن بالنسبة للأنا فان قوى المقاومة لديها تهدف إلى تأجيل العمل النهائي حتى تتمكن الأنا من وضع خطة مرضية أما تحريمات الضمير نجدها تعمل على القضاء على كل تفكير في التصرف مهما كان نوعه لذلك نجد أن المواجهة بين الأنا والضمير تتمثل في أن الضمير يقول للغرائز لا أما الأنا فيقول انتظر من خلال فهمنا للعمليات التي يقوم بها الطفل في المطابقة بين نفسه وبين التعاليم الخلقية للوالدين والذي ينتج عنها عملية التوحد معهما فتتكون الأنا الأعلى .

( كالفن س هول ، ١٩٦٧ : ٥٠ ، ٥١ )

يري الباحث في هذا التوقيت يفتح مخزن اللاشعور عند الطفل ويستقبل بل يخزن كل العمليات التي أدت به للتوحد حيث أن الأنا الأعلى دائما غير واقعية وتنتظر إلى الوالدين علي أنهما بلغا حد الكمال وهنا نجد أن العمليات التي تؤدي بالطفل إلى التوحد والتي اختزنت في اللاشعور عندما يتعرض الطفل لفقد أبيه بالموت ويخبر حاله اليتم فان الذي اختزنه يظل كما هو لا يتغير فعندما يكبر ويصل إلى مرحلة المراهقة يكون هذا المخزون في اللاشعور والذي تكون مع تكوين الأنا الأعلى وأثناء عملية التوحد يكون قوه مسيطرة علي تكوين صورة الأب ولذلك عندما نقوم بعملية التحليل لمعرفة صور الأب فأتوقع أن تكون صورة الأب عند المراهق اليتيم مطابقة إلي حد كبير مع المخزن من فترة الطفولة أثناء تكوين الأنا الأعلى . كذلك أري انه إذا ما تم عكس ذلك في فتره الطفولة فان صور الأب تطابق المخزون في اللاشعور سواء كان هذا مثاليا حسب مفهوم الأنا الأعلى أو سلبيا يعكس قسوة الأب أو صفاته وقيمة الغير مرغوب فيها عند الأنا الأعلى للطفل لذلك فصورة الأب عند المراهق اليتيم هي التي تكونت في مرحلة الطفولة وعلي وجه التحديد عند تكوين الأنا الأعلى مع الأخذ في الاعتبار باقي العوامل الأخرى التي تنطبع في ذاكرة الطفل أو في اللاشعور وتتمثل هذه العوامل في النواحي الخاصة بالأب من نشاط اجتماعي أو علمي أو ديني أو عاطفي أو قسوة ..... الخ .

كما يري الباحث إن من أسباب كبت الذكريات أن تكون الذكرى نفسها مؤلمه أو مرتبطة بشئ مؤلم كأن ينسى الشخص لأنه كان سببا في ألمه أو ارتبط هذا الشخص بشئ مؤلم وفي الحالتين يتحقق مضادات للشحنات بقصد حماية الشخص من القلق والضيق الذي يصيبه . وخلاصة القول هو أنه من الممكن أن ينسى الفرد خبرة مؤلمة ولكن ليس من السهل أن ينسى خبرة مفرحة .

كذلك يري الباحث أن العامل الرئيسي في تحول صورة الأب أو الخبرة التي كونها الفرد عن أبيه من الشعور إلى اللاشعور هو أن الفرد في مرحلة الطفولة كون خبرة عن والده ظلت عالقة في الشعور أو كون صورة عن الأب ظلت عالقة في الشعور أيضا ثم تم استنفاد طاقته التي في الذاكرة في تكوين آثار ذاكرة جديدة مما دعاه إلى نسيان صورة الأب من الذاكرة وتحولها إلى اللاشعور حيث أن الطفل لديه طاقة نفسية محدودة ومن هنا ومن خلال تقدم الطفل في العمر ووصوله إلى مرحلة المراهقة قد أخذ شحنات الموضوعات المتكونة عن صورة الأب واستخدامها في الإستنارات الجديدة التي مر بها ولذلك ضعفت الذاكرة أو شحنات الذاكرة القديمة وأصابها النسيان وتحول ما بها من خبرة عن صورة الأب إلى

اللاشعور ومن هنا يطلق على هذه الذكريات مكبوتة في اللاشعور وغير منسيه ومن الأسباب الرئيسية لكبت صورة الأب في اللاشعور هي الخبرة المؤلمة التي مر بها أثناء وفاته إذا كان عمره يسمح بإدراكها أو أن الطفل عايش والده قبل الوفاة ولكن الوالد كان قاسيا ففي هذه الحالة يتم كبت هذه الذكريات التي عن صورة الأب لأنها تمثل للفرد ذكريات مؤلمة ومع ذلك يمكن تذكر الذكريات المكبوتة عن طريق خفض قوة مضادات الشحنات أو عن طريق زيادة قوة الشحنة وإن كان من الصعب تحقيق الاثنين .

كذلك يري الباحث أن الإستنارات الجديدة التي يواجهها المراهق اليتيم مع السلطة أما أن تكون عاملا مساعدا لكبت صورة الأب إذا كانت مشابهة في الألم والخبرة الأليمة التي مر بها أو تكون احد أسباب استرجاع واستعادة ذكريات الأب أو صورة الأب في ذهنه لتطابق بعض المواقف وفي الحالتين تكون توجهات المراهق اليتيم نحو السلطة متأثرة بصورة الأب سلبا أو إيجابا . إذا أن سلوك المراهق اليتيم نحو السلطة يرتبط ارتباطا وثيقا بتوازن القوة الدقيق الذي غالبا ما يوجد بين القوي الدافعة والقوي الضابطة في الشخصية الأمز الذي يجعلنا نقول أن موضوع التنبؤ بشكل دقيق بما سيفعله المراهق اليتيم من خلال توجهاته نحو السلطة أمرا صعبا للغاية فإنه إذا حدث ارتفاع طفيف في مستوي الشحنة يؤدي إلى إثارة سلسله من الأحداث ذات الآثار البعيدة في حياة الشخص .

يري كالفن س هول : أن عدم القدرة على التنبؤ بسلوك الفرد هي التي تمنع علم النفس من أن يكون علما دقيقا . مستندا بذلك على آراء فرويد حيث " أن فرويد يري انه بسبب الاختلافات الدقيقة في درجة القوة النسبية لعوامل الإثارة والكف ولأن ما يطرأ على هذه القوة من تغييرات طفيفة قد يترتب عليها آثار كبيرة ولا يمكن أن يكون علم النفس علما تنبؤيا وإنما هو علم استرجاعي بمعنى انه حين تقدم إليه النتيجة ينظر إلى الوراء ليكتشف الأسباب التي أدت إلى هذه النتيجة " ( كالفن س هول ، ١٩٦٧ : ٥٥ - ٥٨ )

يري الباحث استنادا علي رأي كالفن س هول أن التقمص الناتج عن اليتيم يعرف بأنه قائم على فقدان شيء وهذا يعني أن الشخص إذا فقد شيئا له عنده شحنة ايجابية فإنه يحاول الحصول على المفقود بأن يتقمص هذا الشيء أو يجعل نفسه مشابهة له فعندما يفقد الطفل والده بالموت فإنه يعمل جاهدا أن يعمل من شخصيته أو سلوكه مثل ما كان عليه والده مثل المثل العليا التي كان الأب يتمسك بها لذلك فنجد أن اليتيم عندما يتقمص والده غالبا ما يتقمص المعايير والقيم التي لوالده وهذا عامل أساسي لتكوين الأنا المثالية عند الطفل هذا وان التقمص القائم على فقدان الشيء ( فقدان الأب ) بالنسبة للمراهق اليتيم قد يفيد جهة أخرى عندما يحل التقمص مكان الأب المفقود عند المراهق بمعنى أن المراهق اليتيم عندما يكون صورة الأب ويتقمصه فإنه بذلك يصطنع بل يتخذ لنفسه سمات الأب الذي فقده باليتيم وعليه قد ينتهي به الأمر وقد أصبح الأب المفقود جزءا من شخصيته هو وذلك من خلال صورة الأب بداخله ولذلك فان الشخصية قد تصبح خلال فترات النمو حاملة لعدد كبير من سمات الأب الذي فقدته حيث أن الأب المتوفي بالنسبة لابنه اليتيم يعتبر شحنة ايجابية .

**الارتباط الأوديبي بين المراهق ووالده :**

طبقا للتصور الفرويدي الكلاسيكي . فان الارتباط الأوديبي بين المراهق ووالده الذي يختلف معه في الجنس أثناء المرحلة القضيبية يطرأ عليه نوع من التعويض نتيجة الكبت الذي يكبته المراهق مضطرا لكل ما يشعر به وقتئذ تجاه هذا الوالد من مشاعر شبقية أو جنسية . ثم بعد ذلك نلاحظ ظهور طور من التوحد مع الوالد الذي يتفق معه في الجنس فإن

هذا التحول يعتبر تحولاً ملائماً أو مناسباً في أغلب الأحوال حيث أنه يعتبر بمثابة حيلة لا شعورية من جانب الفرد لإرجاء مواجهة المشكلة الأوديبية وهذا الإرجاء لا يستمر فترة طويلة ولكن سرعان ما يصل الفرد إلى مرحلة البلوغ وهذه المرحلة يكون من سماتها بدء إحساس الفرد بالرغبة في الاستقلال الشخصي الكامل عن والديه . ونرى ذلك في سياق الوقائع والأحداث التي يمر بها . هذا ونلاحظ أيضاً صحوة التشوقات أو الرغبات الأوديبية السابقة تجاه الوالد الذي يختلف عنه المراهق في الجنس ومن المعتاد ألا تظهر فاعليه وتأثير هذه التشوقات على مستوى الشعور بسبب أنها تظل قائمة عند مستوى اللاشعور وتمارس من خلاله تأثيرها ( إبراهيم قشقوش ، ١٩٨٩ : ٣٨ )

إن الحب الأوديبى المحبط يتكون بصفة خاصة عند الطفل الذي نشأ بدون أب بسبب موت أبيه وبالتالي فإن الطفل اليتيم يتأثر نموه تأثراً كبيراً بسبب فقد أبيه وبصورة حاسمة مرتبطة بمدى معرفة الطفل لهذا الأب أو لم يعرفه على الإطلاق . كذلك يؤثر في هذا الوضع أن كانت الأم قد اتخذت زوجاً آخر غير الأب لهذا الطفل أو لم تتخذ أيضاً متى وفى أي ظروف دخل هذا الزوج الجديد ( والبديل للأب ) في الأسرة كذلك من العوامل المؤثرة سلوك الأم واتجاهاتها بعد وفاة الزوج الأب للطفل . إن الطفل اليتيم الذي لم يعرف أباه المتوفى يكون على وعي بان أباه كان موجوداً يوماً كما أنه يدرك جيداً حالة الأطفال الآخرين الذين يعيشون مع آبائهم وبالتالي يكون لدى الطفل اليتيم شعور بان حالته استثنائية كما يشعر أن من حقه أن يحصل على شئ من التعويض . فإن الطفل الذكر الذي مات أبوه

" يستشعر تحققاً للرغبة الأوديبية وبالتالي يخلق مشاعر إثم شديدة " وهذه المشاعر تؤثر تأثيراً سلبياً على الأخيولات التي يتخيلها الطفل لأبيه المتوفى . أما إذا كان الأب الذي مات هو من الجنس الآخر فإن الحب الأوديبى المحبط يخلق في الأغلب تخيلاً مثالياً للفقيد "

إن تفاصيل هذا الموضوع تتوقف على متى وكيف وعى الطفل الوفاة وحيث أننا نركز على هذا الموضوع فهناك ثلاث نتائج مهمة ترتبط به هي :-

١- تعلق الطفل الزائد بالأم بعد وفاة أبيه ويتوقف طابع هذا التعلق على درجة تعلق الأم بالطفل . وإذا نظرنا إلى تعلق الطفل غالباً ما نجده يتسم بتناقض العاطفة .

٢- يتكون عند الطفل اليتيم ارتباط لا شعوري قد يكون شديداً ومتواتراً بين فكريتي الجنسية والموت نظراً لأن هاتين الفكرتين يربطهما مفهوم " أسرار الكبار " وقد يترتب على هذا المفهوم خوف جنسي شديد يرجع إلى فكرة أن الإشباع الجنسي قد يجلب الموت أو إلى نزعة يصبح فيها الموت ( كإتحاد بالأب المات ) هدفاً جنسياً

٣- إن الطفل اليتيم قد ينكص إلى المرحلة الفمية وذلك أثناء ، فترة الحداد على موت أبيه . فإذا حدث ذلك في سن مبكرة للطفل فإنه يعني أنه سيترب على ذلك وجود آثار دائمة في بينه العقدة الأوديبية والشخصية . هذا بالإضافة إلى أنه سيوجد حياً أوديبياً وعلاقات لاحقاً بالموضوع جميعها تمتلى بالتطابقات ( أتوفينخل ، ١٩٦٩ : ٢٣٠ - ٢٤٠ ج ١ )

- إن الطفل الذي ينشأ في غياب الأب قد يتولد عنده استعداد للإنوثة لأن الطفل يميل أكثر إلى التطابق مع ذلك الأب الذي يشكل مصدراً للإحباطات الحاسمة . فإن الصراعات التي تنشأ بين الأبوين وتنتهي بالطلاق والانفصال قد تحدث آثاراً سلبية لدى الأطفال وخاصة الطفل الذي من المحتمل أن تولد عنده استعداد للإنوثة كما في حالة غياب الأب . أما في حالة ما يكون الأطفال أنفسهم هم محور أو موضوع المجادلات الأبوية فإن هذا من الممكن أن

يترتب عليه زيادة العقدة الأوديبية التامة ويعمل على تيسير التثبيت على النرجسية الأمر الذي قد يجعل الطفل يتوقع من كل شخص أن يستشعر نحوه نفس الاهتمام الزائد الذي تلقاه من الأبوين وهذا الأمر محكوم عليه بالفشل من جهة هذا التوقع لذلك فإن الطفل الذي يعيش أو يخبر سلوكا شادا من جانب الأبوين وقبل وفاة الأب قد يخلق عنده عقدة أوديبية شاذة حيث أن التدليل الغير عادي من قبل الأبوين يسبب بالضرورة عند الطفل إحباطات غير عادية . حيث أن الأطفال المدللين لم يسبق لهم أن تعلموا الإحباطات وتقبلها وبالتالي فإنهم يعيشون الإحباطات السهلة كإحباطات صعبة وثقيلة .

( أوتوفينخل ، ١٩٦٩ : ٢٤٠ - ٢٥٠ ج ١ )

بعض الأطفال يعيشون في أحلام يقظة أوديبية مليئة بالأفكار والخيال حتى أنهم يتخيلون أنهم ليسوا أبناء آبائهم بل يحلمون بأنهم لقطاء من نسل أسرة عريقة ذات مستوى اجتماعي مختلف عن واقعهم فأحيانا يتخيلون أنهم أبناء أسرة فقيرة وتارة أبناء أسرة رفيعة المستوى وقد أطلق فرويد على هذه الأخاييل " أسطورة الأسرة " أما بالنسبة لهذه الأخاييل فيمكن أن تخدم أهدافا متنوعة عند الطفل فالكبرياء والنرجسية والعناد وكل هذا بقصد الانتقام من الأبوين متطلعا إلى إشباعات مستقبلية . توجد أخاييل لا شعورية تتعلق بالفوارق الاجتماعية وهي لا تعطي لنا الكثير عن الكيفية التي يؤثر بها واقع الفوارق الاجتماعية على عقده أوديب عند الطفل . " إن الخبرات المتصلة بالمكانة الاجتماعية للأب تضطلع بالتأكيد بتشكيل حب الأطفال أو كراهيتهم له بتبجيلهم أو احتقارهم ، إعجابهم أو إشفاقهم عليه " إن الوضع الاجتماعي يعتبر عاملا مهما من الناحية الموضوعية بالنسبة للأسرة وأنه يؤثر في تشكيل عقده أوديب بشكل أقل مما نتوقع والسبب في ذلك هو " إن النسق الواحد من الآداب هو فعال في مختلف الطبقات الاجتماعية للمجتمع الواحد "

يرى البعض انه من المفروض أبعاد مزايا ومساوئ التربية الأسرية ( في توليدها للعقد الأوديبية ) وذلك من خلال المقارنة بين الأطفال الذين نشأوا في الأسرة والأطفال الذين نشأوا خارج الأسرة ( في المؤسسات ) ومع كل ذلك فإن أطفال المؤسسات هم ليسوا ببعدين عن تأثير مفهوم الأسرة فهم حتما سيعرفون وجود الأسرة كنظام اجتماعي قائم وأن نظراءهم من الأطفال الآخرين لهم آباء وأمهات وبالتالي فهم أنفسهم يعانون نقصا من هذه الناحية ومن ثم فهم أيضا لديهم عقدهم الأوديبية . ( أوتوفينخل ، ١٩٦٩ : ٢٥٤ - ٢٥٥ ج ١ )

إن إسقاط الأنا العليا على موضوعات خارجية هو متعدد الأشكال وكثيرا ما يحدث . ومن المؤكد أن الإيمان بنماذج مثاليه أو وجود درجة معينه من " الخوف الاجتماعي " ( الحاجة إلى استحسان الآخرين وخوف رفضهم ليس بالضرورة ظاهرة مرضيه ) .

أن الإيمان بالسلطة بصورة عامة يرجع دائما إلى عملية إسقاط لسمات الأنا العليا وبالتالي فإن توجهات المراهق اليتيم تكون مشبعة بسمات الأنا العليا والتي تعتبر قوة ضاغطة على هذه التوجهات ( أوتوفينخل ، ١٩٦٩ : ٢٧٨ ج ١ )

## المنطلق الثاني : التوجه نحو السلطة

تعرف السلطة بأنها تأثير محتمل لفرد معين على فرد أو أفراد آخرين يمارس هذا التأثير على المعرفة والمواقف والسلوك والانفعالات وعلى تعبيراتها . قد تركز السلطة على الخبرة والكفاءة ويمكن أن تستند أيضا إلى نظام من المكافآت والعقوبات أو أيضا على الشرعية أي على قبول التقاليد والقيم فالفرد الذي يجسد صورة السلطة يمكن أن يمثل جماعة

يرغب أفراد آخرون في الانتماء إليها عندما يجري الحديث عن سلطة مرجعية تمارس السلطة تأثيرا سلبيا عندما يمثل مرجعا عندما يريد فرد أو أفراد معينون معارضته . تطورت الأبحاث حول السلطة ، منابعها ومساراتها في إطار نظرية مختلفة وهكذا يدرس التحليل النفسي خاصة علاقات السلطة التي تقام دون أن يكون فاعلوها واعين لها وتأثير السلطة كأولية دفاع وعلاقات السلطة في العلاقات بين الوالدين والأطفال والتمادى مع صور السلطة وأوليات النفس - دينامية خلفيات الحاجات للسلطة والخضوع . إن منظرى التقوية يحللون أوليات تعلم علاقات السلطة ومنظور التبادل الاجتماعي يرون في العلاقات الثنائية السلطة والقدرة التي يملكها كل مشارك على الآخر والشكل الذي تجري فيه المبادلات والمفاوضات وتقليد نظريات الحقل التي بدأها ليفين R.Levin يحدد السلطة كعلاقة تأثير كما تدرك من قبل الأشخاص المعينين وكمسار دينامي ينجم عن التوترات والحاجات والقوة الناشئة Authorite parentale - Levy - Leboyer - ليفي لوبواييه ، سلطة الأهل هي صيغة قانونية حلت محل المفهوم القديم للقوة الأبوية وهي تترجم تطور مقامات الزوجين موازنة مجمل حقوق الأهل وواجباتهم من أجل تأمين حضانة أطفالهم القاصرين والسهر عليهم وتعليمهم J. Selosse ج سيلوس ( اشرف رولان وآخرون ، - : ١٣٩ )

### تحرر المراهق من السلطة ونموه فرديته :

يتجه المراهق في هذه المرحلة إلى الاعتزاز بكيانه مع إكمال رجولته أيضا يتجه إلى الاستقلال بفكره وعمله ، ولتحقيق ذلك يقوم بتجريب واستخدام أساليب متعددة ، لكي يضمن لنفسه الشعور بالخروج من مرحلة الطفولة واكتمال نموه واستقلاله ، وبالتالي فقد نجد إن المراهق يقع في صدام من السلطة المشرفة عليه أثناء تجريبه الأساليب المتعددة ، وقد يترتب على هذا أيضا نزاع نفسي أو سلوك غير مرضٍ فنجد إن المراهق يميل إلى الجنوح على السلطة ويسلك سلوكا يتسم بالعصيان ، وقد يزداد به الأمر إلى أن يحتقر آراء أفراد السلطة . دأب معظم الكبار (السلطة) على معاملة المراهقين على أنهم أطفال لذلك فهم يمارسون سلطتهم على المراهقين بطريقة قد تكون مقيدة لحريتهم ونمو ذاتهم والاعتماد على النفس ويرجع ذلك إلى أسباب كثيرة منها شعور بعض الكبار بالتلذذ من استخدام السلطة وتمتعهم بها بالإضافة إلى أن الكبار من السهل أن ينسوا أنهم كانوا مراهقين ونسوا كل ما حدث لهم في هذه الفترة ويرجع ذلك إلى طول المدة التي انقضت على مرحلة المراهقة بالإضافة إلى الكبت الذي يكون قد حدث نتيجة إن بعض هذه الخبرات يكون مؤلما لأي سبب حدث كالفشل أو العنف أو ارتباطه بالشعور بالخطيئة . لذلك يجب على الكبار ( السلطة ) أن يكون موقفهم متسم بفهم التطورات العقلية للمراهق والتوجيه الصحيح لنزعاتهم . فإن علاقة الطفل بوالديه تمر بمراحل متعددة فهي تتغير بحكم نموه وقلة حاجاته في الاعتماد على والديه فنحن نرى أن اعتماد الطفل على والديه يكون كبيرا في السنوات الأولى لما له من غرائز وحاجات يسعى لإشباعها بالإضافة إلى حاجته للشعور بالأمن الذي هو بدء الثقة بالنفس ، هذا ومن المعروف أن الطفل يمر بمراحل متعاقبة ، فكل مرحلة عمرية يمر بها تمهد وتعدده للمرحلة التالية لذلك يجب علينا أن نفهم أن تحقيق مرحلة بشكل مرضي لا يمكن أن يتم إلا بتحقيق المرحلة السابقة لها واضعين في الاعتبار خصائص الطفل في كل مرحلة مع العلم إن هذه الخطوات متصلة ومتداخلة ويرجع السبب في التداخل إلى إن الطفل له حاجتان تعملان في وقت واحد وهما : الحاجة للأمن والحاجة إلى المخاطرة ، لذا كان على الآباء إشباع حاجات الطفل مع الأخذ في الاعتبار عدم المبالغة في المساعدة إلى الدرجة التي تجعل الطفل غير

قادر على الاستقلال عن والديه . هذا ويجب تشجيع الطفل ليعتمد على نفسه حسب سنه وإمكاناته ، كما يجب تعويد الطفل على الاتصال بالزملاء والأقارب ويشارك ، يعطي ويأخذ لتنمية روح المشاركة والقضاء على الأنانية (عبد العزيز القوصي ،-: ١٥٧ - ١٦٤)

تري جوسلين أن المراهق يتطلع إلى أناس معينين يكونون له سندا إذا ما تعرض لتهديد ما أي يستطيع الاعتماد عليهم بشرط أن يكون لديه الحرية في الاستقلال عنهم في أي لحظة دون قيود منهم وذلك عندما يشعر أن لديه قدرا من الثقة في أداء دوره ما من ادوار الاستقلال . وتقول الباحثة أن المراهقة هي فترة تنبيه أو استيقاظ في المشاعر الجنسية وهذه المشاعر غالبا ما تكون غير مرتبطة بهدف معين في بدايتها لذلك فإن الرغبة في إشباع الاعتماد تصبح مشوبة بالصبغة الشهوانية وبالتالي يحدث تداخل لكل من حاجات الاعتماد والجنس وكذلك تقول أن حدة الاهتمام بموضوع الحب تقل عندما يشبع الفرد حاجات الاعتماد بطريقة ملائمة . تتناول جوسلين بعض العقبات التي تحدث في علاقة المراهق بأحد أفراد السلطة نتيجة ارتباط المراهق " بشخص اكبر منه سنا يتفق معه في الجنس " كما يحدث في بعض الحالات مثل حالة التدريس . وتري جوسلين أن حقيقة المشكلة تلتخص في كيف يستطيع فرد السلطة المتعلق به المراهق أن يعطيه ما يحتاج إليه من الإرشاد اللازم والوقوف بجانبه بدون مبالغة أو تمادي من جانب الراشد في إشباع الحاجات النفسية لدي المراهق بحيث يصل الارتباط بينهما إلى نوع من الارتباط العصابي وفي هذه الحالة يكون على الراشد أن يعمل لرد المراهق كي يعتمد على نفسه بما لديه من قدرات وذلك بعد توجيهه وإرشاده على كيفية استخدام تلك القدرات في المواقف والمشكلات التي يمكن أن يتعرض لها.

( إبراهيم قشقوش ، ١٩٨٩ )

وتري جوسلين أن الراشد يمكنه أن يلعب دورا هاما ونافعا في حياة المراهق إذا ما استطاع أن يقوم بدور الوالد العاقل الحكيم حيث أن الوالد الحكيم يقوم بتقبل اعتماد المراهق بالإضافة إلى انه يعمل على تشجيع نضجه من خلال رعاية استقلاله وتعزيزه . هذا ولا بد أن يشعر المراهق بهذا التقبل الحقيقي الصادق من الذين يعيشون حوله وهو يعيش بينهم ، ويتبلور هذا التقبل الصادق في أن يحتمل الراشد كل ما يصدر عن المراهق من سلوكيات أو سرعة استثارة وإحساس بالكآبة وطموحه غير الواقعي أو مشاعره غير الحقيقية بالفشل . على أن يجب أن يكون هذا التقبل الصادق والمتعاطف مع المراهق بصفة مؤقتة إلى أن يجتاز بعض المواقف الصعبة وأيضا كي تساعده على الاعتماد على النفس مع الاستفادة بخبرة أفراد السلطة الذين حوله . هذا ويجب على أفراد السلطة أن لا يفوتهم بل يجب أن يكون من المعروف لديهم أن أي نوع من المضايقة أو المكايدة التي توجه إلى المراهق تمثل بالنسبة له شيئا من العدوانية تجاهه كذلك السلوكيات التي تصدر من أفراد السلطة والتي تشير إلى الاستخفاف به أو رفضه . كل هذه السلوكيات السلبية تراها جوسلين انه مشكوك في فائدتها أو فاعليتها بالنسبة لتحقيق التعامل الناجح مع المراهقين . وتستمر جوسلين في قولها : " ولا يعد الانتقاد الرقيق لبعض ما يصدر عن المراهق من سلوك وتصرفات بالضرورة نوعا من المضايقة والمكايدة " هذا وتشير جوسلين أن هناك بعض الأمور المسلم بها وشبه مؤكدة بدرجة كبيرة هو أن ثبات الراشد وعدم زعزعة أمام مشكلات المراهق وفي حالة معالجتها يضمن إعادة الارتياح والطمأنينة بالنسبة للمراهق . هذا ويجب على الراشد الذي يمثل احد أفراد السلطة بالنسبة للمراهق أن يكون متفهما ومتعاطفا ومتسامحا في حالة ما يواجه شيئا من العدوانية إلى جانب الدفاء والمودة في العلاقات التي يرغب المراهق

أن يقيّمها معه . ولكن هذا التسامح يحتاج إلى قدر كبير من المهارة في التعامل مع المراهق وتري جوسلين انه في حالة توافر تلك المهارة بالقدر الكافي فإن " أضرار الارتباط أو التعلق العصابي تكون خطيرة عندما يكون الراشد ( فرد السلطة ) المشترك فيه ( في الارتباط ) يسعى إلى إشباع حاجة عصابية لديه عن طريق هذه العلاقة أو من خلالها " . وتصل جوسلين إلى نتيجة مهمة في هذا الموضوع هي " انه عن طريق السياسة الحكيمة والتدبير المتعقل فإن تعلق المراهق انفعاليا بشخص اكبر من نفس الجنس يمكن أن يكون ذا خبرة مفيدة ونافعة بالنسبة للمراهق ذوي الحاجات النفسية غير المشبعة " ( إبراهيم قشقوش ، ١٩٨٩ )

لقد لوحظ أن مشكلات المراهق مع السلطة ترجع جذورها إلى الطور الأستي وان كل السلوكيات في فترة المراهقة ما هي إلا عودة مرة أخرى إلى ما كان عليه الفرد في هذا الطور من حيث جنوحاته وتحديه لموقف الآباء . الأمر الذي يدفع الوالد أن يكون متشددا في رفضه لمطالب المراهق البسيطة وفي المقابل فإن المراهقين يقومون ببعض السلوكيات الصبغانية الناتجة عن تقلب المزاج مما يدفعهم إلى الانزلاق في بعض الأعمال الغير مسئولة . كل هذا إنما ينطوي على جوانب نكوصية . ومع ذلك فإن أمن المراهق يظهر وكأنه معرض للخطر عندما يتحرر من الضمير حيث تبدو دوافع المراهقين اقل خضوعا للضوابط القديمة . وتبعاً لذلك فسوف يتزايد لديهم الإحساس بالقلق وحيث أنهم يسعون إلى وقاية الذات والدفاع عنها فإنهم يسمحون لضمايرهم أن تكون ضمائر طفلية " وهكذا يصبح المراهقون متمتمين بصورة مبالغ فيها لا لشيء إلا لكي يعودوا إلى السلوك الذي يبدو متحررا من الكف والتثبيطات " وإذ لم يعتمد الآباء وغيرهم إلى اطلاع المراهقين على الحقائق في وضعهم الانفعالي الزائف وذلك بموافقتهم فيما يتعلق برفض كل ما ينتمي لماضيهم فهذا يؤدي بهم إلى الوصول تدريجيا إلى الإتزان النفسي مع أنا أعلى متساهل وأكثر تسامحا مما ينتج عنه إحساسهم بانخفاض مستوي التوتر الداخلي .

تري جوسلين أن المراهق قد يعاني إرهابا نفسيا نتيجة علاقته بجماعة الأقران ولكن هذا الإرهاب النفسي من الأقران اقل مما يمكن أن يعانيه في علاقته بأفراد السلطة الأكبر منه سنا نظرا لأن هذه الجماعة في إمكانها أن تمد المراهق بما يحتاج إليه في " سلوكه من خلال اطر وحدود ومعايير وحرية في صيغ مستساغة يمكن تقبلها " وان الميكانيزم الأساسي للجماعة يتحدد في إسقاط مثال الأنا أي الذات المثالية الخاص بها وهي مصطلح يعني في ذلك الوقت تمام الأنا الأعلى أو اكتمالها من قبل كل عضو في الجماعة على قائدها مع تحميل هذا القائد مسئولية الجماعة وأيضا الالتزامات الخاصة بها .

" ذكر فرويد أن الجماعة هي عبارة عن تجمع من الأفراد الذين هم استدخلوا نفس الشخص في أناهم الأعلى " وبناء على هذا العامل تقمص كل منهم الآخر في أناهم وبذلك يكون فرويد قد أعاد التركيز على تتابع ميكانيزم الإسقاط / الإستدماج . ومن هذا نسلم بأن المراهق الذي ينضم إلى الجماعة إنما يجتذبه السلوك الذي يصدر عن واحد أو أكثر من أعضاء الجماعة وهذا السلوك يوقظ في المراهق ميول ونزعات ظلت كامنة لديه حتي الآن ولكنه يري الفرصة قد أصبحت متاحة في أن هذا السلوك الصادر من الفرد أو من الجماعة والذي اجتذبه للانضمام إليها يكفل له إمكانية التعبير الصريح عن تلك الميول والنزعات ومن الممكن أن تكون تلك الميول والنزعات ذات علاقة بالأنا الأعلى أو الهي حسب الظروف . " ويقدم الباحثون أحيانا تفسيراً بالنسبة للعضوية الهامشية لمجموعات الجناح من قبل كثير من المراهقين ذوي المشكلات مع السلطة " حيث يستخدم أولئك المراهقون

شخصية القائد موضع الإعجاب والذي يمثل بالنسبة لهم فرد من أفراد السلطة أو يعتمدون عليها ( شخصية القائد ) في تبرير ما يرتكبون من أخطاء . لقد سلم فرويد بأن حياة الجماعة بالنسبة للفرد لها أهمية بالغة وخاصة بالنسبة للنمو الإنساني ويرى أيضا أن سيكولوجية الجماعة تعتبر هي السيكولوجية الأولى والأكبر بالنسبة للفرد وان إحساس الفرد بالجماعة يسبق إحساسه بالفردية ويسبقه زمنيا . (إبراهيم قشقوش، ١٩٨٩ : ٤٠ - ٤٧)

### التوجه نحو السلطة في مفهوم التحليل النفسي :-

إن المثيرات من العالم الخارجي أو من الإنسان نفسه ( بدنه ) يجعله يعيش حالة من التوتر يسعى إلى إفراغ حركي وإفرازي يشعر بعده بالإستدفاء والسكينة . ان بين المثير والإفراغ تعمل أو توجد قوي مضادة للميل إلى الإفراغ . وحيث أن سيكولوجية التحليل النفسي تفسر الظواهر النفسية لأنها نتاج تأثيرات متبادلة ومتضادة بين القوي أي أنها تعمل بطريقة دينامية والتفسير الدينامي يدرس القوي التي ولدت هذه الظاهرة . فهو لا يدرس أفعالا فقط بل يدرس الظواهر من خلال عمليات النمو سواء ارتقاء أو نكوص وبالتالي فمن المهم أن يقوم علم النفس بدراسة وفهم القوي المضادة والتي تعمل على " إغلاق أو تأجيل الإفراغ المباشر " ومن المعروف انه لا توجد ( غريزة سيطرة ) " فالسيطرة هدف عام لكل كائن حي " لا لغريزة نوعية " وبالتالي فإن السيطرة تعني استطاعة الفرد على التعامل مع المطالب الخارجية ومعالجتها كذلك الحوافز الداخلية كذلك تقوم السيطرة بتأمين الإشباع وتأجيل الإرضاء إذا اقتضت الضرورة حتى لو كان هناك معوقات للقيام بدورها . إن ممارسة الفرد لقدراته تولد عنده الشعور بلذة خاصة حيث يستمتع بإيقاف توتر قوامه " عدم قدرته بعد " على إيقاف القلق الناتج من قصور الضبط الحركي . لذلك فإن القوي التي ينتج عن تفاعلها تفسير الظواهر النفسية هي محددة الاتجاه سواء نحو الحركة أو بعيدا عنها أن حفزات الإفراغ تعبر عن النزعة البيولوجية الأولية أما بالنسبة للحفزات المضادة التي تجتاح الفرد فهي تنشأ عن تأثيرات خارجية انه في حالة تساوي الميول الكامنة مع الميول للإفراغ من حيث القوة نلاحظ عدم ظهور أي علاقات خارجية على النشاط وفي هذه الحالة فإن الطاقة تستنفذ في صراع داخلي خبي . لذلك نلاحظ أن الأفراد الذين يعانون من استنفاد الطاقة في الصراع الداخلي يظهر عليهم التعب دون القيام بعمل ظاهر .

(أوتوفيتزل، ١٩٦٩ : ٤٣ - ٤٥ ج١)

ويرى الباحث انه إذا نظرنا إلى المراهق بصفة خاصة من حيث توجهاته نحو السلطة نجد أن التعبير عن هذه التوجهات وإفراغها إلى حيث الوجود مرتبط ارتباطا وثيقا بالديناميات النفسية الخاصة به . فإذا كان يتمتع بالسيطرة فإنه يتمكن من التعامل مع مطالب السلطة ومعالجتها بحيث لا تتعارض مع توجهاته بقدر الإمكان . هذا ونجد أن المراهق يخضع بسهولة إلى القوي المضادة التي تعمل في داخله على إغلاق أو تأجيل الإفراغ ولكن في الغالب أن المراهق يقوم بعملية الإفراغ لان من سمات هذه المرحلة محاولة التعبير والوصول إلى عالم الكبار . هذا بالإضافة إلى انه يسعى لممارسة قدراته ليحس بلذة خاصة من خلال وقف التوتر الذي يترتب عليه إيقاف القلق الناتج من قصور الضبط الحركي . مع هذا فقد لا يعبر المراهق عن توجهاته نحو السلطة نتيجة أن الطاقة لديه استنفذت في صراع داخلي وبالتالي فهو لا يقوم بعملية الإفراغ الأمر الذي يدفعه إلى الانطواء وعدم التفاعل مع السلطة وظهور علامات التعب والإرهاق عليه .

إن الفرد تجتاحه أحيانا عدة اهاجات ونجده يقوم بكبح بعضا منها وبعد ذلك سرعان ما نجده يستجيب بشدة لإثارة أقل قوة من التي قام بكبحها ومن هنا نستنتج أن الاهاجة التي تم كبحها ما تزال نشطة في داخله ومن هنا انتهزت أقرب فرصة لتخرج في شكل ثورة وبالتالي فإن " طاقة القوة التي وراء الظواهر النفسية قابلة للإزاحة " أن الحفزات القوية التي يشعر بها الفرد ويشعر أنها في حاجة إلى الإفراغ تعتبر ابعد عن التكبيل من الحفزات الضعيفة رغم بعدها هذا فمن الممكن تكبيلها ولكن في حالة ما تكون القوة المضادة مساوية لها في القوة . أما المشكلة الاقتصادية النفسية التي يواجهها الفرد بصفة عامة والمراهق بصفة خاصة فهي كمية الإثارة التي يمكن للفرد أن يتحملها دون إفراغ " فثمة تبادل للطاقة النفسية وتوزيع اقتصادي للطاقة المتاحة ما بين وارد ومستهلك ومتبق " . أما بالنسبة للمشكلات الداخلية التي يعاني منها المراهقون وتتطلب الحل فيجب عليهم أن يخصصوا لها قدرا كبيرا من طاقتهم وبالتالي فإن الوظائف الأخرى لا تجد من الطاقة عند الفرد إلا القليل . والخلاصة تقول " أن كم الطاقة النفسية لا يمكن قياسه مباشرة وإنما يمكن الاستدلال عليه بشكل غير مباشر عن طريق مظاهره الفسيولوجية " ( أوتو فينخل، ١٩٦٩ : ٤٩ - ٥٠ ج ١ ) .

ويري الباحث انه نظرا لما يواجهه المراهق على وجه التحديد من اهاجات ثم يقوم بكبحها أو كبح بعضا منها فأري أن هذه الاهاجة إنما تأتي عندما يخفق في تحقيق نجاح مع السلطة في تنفيذ توجهاته وبالتالي يضطر المراهق أن يخضع ويستجيب للإثارات التي يستقبلها من السلطة وهذه الاستجابة تدفعه إلى الاحتكاك مع السلطة والاعتراض على أرائها بالإضافة إلى الانفعالات الشديدة كتعبير عن الرفض الداخلي . من هنا نفهم أن الاهاجة التي قام بكبحها مازالت نشطة في داخله وعند أول تصادم بينه وبين السلطة خرجت في شكل ثورة عارمة . وبالتالي نصل إلى حقيقة هي أن المراهق يعاني من مشكلة اقتصادية نفسية وهي مدي تحمله لكمية من الإثارة دون أن يقوم بتفريغها مما يجعل توجهاته نحو السلطة تتأرجح ما بين كمية الاهاجة المكبوتة الناتجة عن المثيرات الواردة من السلطة وبين الحفزات القوية التي يشعر بها ويريد إفراغها .

" إن أول تقبل للواقع ليس إلا خطوة وسطي على طريق التخلص منه " وهذه هي النقطة التي يبدأ منها التناقض ذو الأهمية الأساسية بالنسبة للحياة البشرية ويقصد بالتناقض هنا أي الحاجة للارتخاء التام ويعتبر هذا التناقض هو التعبير المباشر عن مبدأ الثبات . وفي حالة تحقيق الحالة المرغوبة إشباعا وارتخاء عن طريق الموضوعات الخارجية فإن ذلك يجعل الموضوعات يميل إليها رغم انه كان يسعى إليها في البداية كأدوات ولكنها تختفي بعد ذلك من جديد وبالتالي فإن الميل للموضوعات ما هو إلا هدف للتخلص من المثيرات لذلك فإن أول علاقات مع الموضوع لا تمثل كراهية أو حبا ولكنها إرهاصات غير متميزة . " إن اصل الأنا واصل حسن الواقع ليس غير وجهين لخطوة ارتقائية واحدة " . هذا ما تعرف به الأنا على أنها ذلك الجانب من النفس الذي يعالج الواقع حيث أن تصور الواقع يولد تصور الأنا " فنحن أفراد بقدر ما نستشعر أنفسنا مستقلين و متميزين عن الآخرين "

( أوتو فينخل ١٩٦٩ : ٩٦ - ٩٧ )

والباحث يري أن تقبل الواقع من قبل المراهق اليتيم يجعله يدخل في حالة تفاهم إلى حد كبير مع السلطة حيث انه يحاول الارتخاء وعدم الصراع حينما والحاجة إلى الموضوع أي المثيرات حينما آخر وبالتالي يحدث توازن لنفسه من خلال عملية الإفراغ والارتخاء ومن هنا لا يحدث تصادم عنيف مع السلطة ولكن قد يكون لهذا التقبل سلبياته حيث أن عملية

الارتخاء التي يقوم بها المراهق اليتيم قد تدفعه للاستسلام لأفكار السلطة وبالتالي يضعف من شخصيته . هذا وقد نجد أن المراهق يستشعر مثيرات ضاغطة قد تدفعه إلى الميل للموضوعات بهدف التخلص من هذه المثيرات وقد تكون هذه الموضوعات هي بعض الصراعات مع السلطة وفي هذه الحالة فإن هذه الصراعات قد تدفعه إلى التعديل من توجهاته نحو السلطة وبالتالي يتقبل الواقع الذي يعيشه معها فتظهر الأنا عنده ويشعر بالاستقلال والتميز نتيجة إثبات وجوده عن طريق تصوره للواقع .

تتميز الشخصية بدوام التغير والنمو الذي لا يتوقف ويبدو هذا واضحا خلال فترة الرضاعة و الطفولة والمراهقة أما بالنسبة للناحية التكوينية فإن الأنا يتقدم ويزداد في التميز أي تتضح صورته شيئا فشيئا وتتحدد معالمه أكثر حتي يصل إلى أن يكون له مميزات الخاصة التي ينفرد بها عن باقي أجهزة الشخصية وإذا نظرنا إلى الأنا من الناحية الديناميكية نجد انه أصبح له قدرا كبيرا من السيطرة على منابع الغريزية للطاقة وبالتالي نجد أن أنماط السلوك تأخذ في الازدياد بشكل واضح ومفصلا . أما بالنسبة إلى شحنات الموضوع فإنها تنتشر وتتشعب في صورة ميول وتعلقات وأيضا العمليات النفسية تأخذ في النمو من قبيل الإدراك الحسي والتذكر والتفكير وهكذا تصبح الشخصية أكثر تكاملا . وعن طريق التعلم فإن الشخص يكتسب مهارة وقدرة معالجة ألوان الإحباط والقلق التي يتعرض لها .

(كالفن س هول ، ١٩٦٧ : ٨٠)

النواهي والمحرمات التي يفرضها أفراد السلطة على الشخص قد تؤدي إلى التقمص لذلك يوجد تقمص يقوم به الشخص مع النواهي والمحرمات التي تفرض عليه من أفراد السلطة ويكون هدف هذا التقمص أن يتقي سطوة أو عقاب الشخص صاحب السلطة أو خوفا من أن يصبح هذا الشخص عدوا له ويعتبر هذا النوع من التقمص ناشئ عن الخوف وليس عن الحب كما أن هذا النوع من التقمص يعتبر من الأساس الذي يرتكز عليه الضمير " وهذا وان مجموعة القوي المانعة المقيدة التي تكون الضمير تمثل الموانع والقيود الأبوية بعد أن امتصها الطفل " ومن هذا المنطلق فإن الطفل بعد أن استطاع ضبط سلوكه وتنظيمه بواسطة القيود المانعة أو الشحنات السالبة قادرا أن يتجنب القيام بأي فعل ممكن أن يجلب عليه العقاب من فرد السلطة الذي تحته ولايته وعندما يتقدم الطفل في العمر ويدخل في مرحلة المراهقة يسير على نفس النهج فيتقمص ويتوحد مع المطالب التي تفرض عليه من الآخرون أصحاب السلطة . والمراهق حينما يتقمص ممثلين السلطة ويتوحد معهم يدخل في عملية التطبيع الاجتماعي وبذلك يكون قد اخضع نفسه للقواعد والتعاليم التي تسود المجتمع الذي يعيش فيه هذا بالإضافة إلى انه في حالة التقمص نجده يتجنب الألم ويحصل على اللذة . ومن الأمور التي تساعد على ثبات المجتمع واستقراره تقمص الأجيال الناشئة للمثل العليا بالإضافة إلى الابتعاد عن المحرمات التي وضعت للسيطرة ولكن كل هذا لا يمنع المراهقين بصفة عامة والمراهقين الأيتام بصفة خاصة بالإضافة إلى كل الأجيال الناشئة من التمرد والثورة على هذه المثل ولكن غالبا ما ينتهي الأمر إلى الانقياد والسيطرة . وتطبيع التوجهات مع السلطة والخلاصة أن التقمص يعمل على تشكيل الشخصية عن طريق إيجاد أوجه شبه بين الشخص وخصائص الشئ أو الأب أو الشخص الذي تم تقمصه أو الناس في معظم الأحيان في العالم الخارجي والقوي الدافعة التي تدفع إلى التقمص هذا بالإضافة إلى أنواع شتى من النرجسية تستمد من أوجه الإحباط ثم النقص والقصور بالإضافة إلى أنها تستمد أيضا من القلق وفي

نهاية الأمر يكون الهدف من التقمص هو التخلص من التوتر المؤلم الناتج عن القلق والإحباط وأوجه التقمص أو القصور (كالفن س هول، ١٩٦٧ : ٨٨ - ٨٩ )

كما يشير كالفن س هول إلي أن العامل الذي يحدد الاتجاه الجديد الذي تم الانتقال إليه هو المجتمع الذي يقوم بفعله عن طريق الآباء والذي يحدد اتجاه النقل بموافقته على بعض الموضوعات ويحرم بعضها .

أما العامل الثاني المحدد للاتجاه فهو وجه التشابه بين الموضوع الأصلي والموضوع البديل ومعني هذا أن الشخص عندما يصعب عليه التخفف من التوتر بطريقة ما فإنه يلجأ إلى مخرج آخر يكون بينه وبين الشيء الذي امتنع عن أن يخفف عنه التوتر اكبر قدر ممكن من التشابه فإذا لم يوفق في هذا المخرج لجأ إلى شيء آخر وهكذا حتى يتم الوصول إلى شيء ممكن يخفف به حدة التوتر . هذا ونلاحظ انه كلما زاد عدد التنقل قل درجة التشابه فعندما نصل إلى الاختبار الأخير نجده يختلف تماما عن الشيء الأصلي ويقل عنه كثيرا في درجة الإشباع وبالتالي فإن القدر الذي يخففه من التوتر يعتبر قدرا قليلا بالنسبة لما يقوم به الشيء الأصلي . أخيرا نقول أن الشيء البديل أفضل من لا شيء وان كان اقل إشباعا وإرضاء من الاختيار الأصلي .

إن الأنا هو الذي يقوم بضبط عملية الاختيار للشيء الأخير هادفا أن يوفق بين ما يتعارض مع مطالب الهو والأنا العليا والعالم الخارجي أن الاختيار موضوع كبديل للموضوع الأصلي كنوع من الاستعاضة يعتبر هدفا حضاريا اعلي وتعد عملية من قبيل التسامي أو الإعلاء . والإعلاء يمكن أن يتم بتحويل مجري الطاقة إلى نشاط عقلي أو خيري أو ثقافي أو فني فيتحول التعبير عن الغرائز الجنسية والعدوانية إلى ألوان من السلوك الغير جنسية أو عدوانية وبالتالي يظل مصدر الطاقة الغريزي على حاله في أوجه النشاط المتسامي في حين يتم تغيير الوسائل التي عن طريقها أو بواسطتها يتم التخفف من التوتر والشخص لا ينسي الشيء الأصلي الأول الذي اتجهت إليه الشحنة الموجبة His original object cathexis .

وهنا يعتبر فرويد أن الشخص يبحث في الشيء البديل عن حبه الأول فإذا لم يعثر على بديل يكون مرضيا يقوم بأحد عمليتين أما أن يواصل البحث عن بديل وأما أن يقنع بشيء يلي هذا الشيء الأول في المرتبة وعندما يقبل الشخص البديل فإنه يقوم بعملية تعويض عن الشيء المستهدف الأول والأصل . والواقع أن تكوين الخلق والشخصية يشتمل على كثير من عمليات التعويض . فكثيرا من الميول والاهتمامات والتعلقات عند الراشدين عبارة عن عمليات تعويضية عما أحبط من رغباتهم وهم في طفولتهم المبكرة والمتأخرة ولكن من المعروف أن التعويضات ذاتها ليست بالضرورة تكون أمورا طفولية أو صبيانية. وإنما هذا يعني أن " مصادر الطاقة التي يتوقف وجود التعويضات عليها مستمدة من انتقال الطاقة وتحويلها عن اختبارات أصيلة في سن مبكرة " . ( كالفن س هول ، ١٩٦٧ )

أن الذي يفرق بين الطفل والناضج هو الأسلوب الذي تستخدم به الطاقة وليس ما ينبع عنه الطاقة ولا الأهداف النهائية إذ أن المنبع والهدف النهائي يظلان كما هما في مختلف المراحل العمرية . أن من اقوي الوسائل على نمو الشخصية وتطورها هي القدرة على نقل الطاقة وتحويلها عن شيء إلى شيء آخر وقد لاحظنا أن تكون الأنا والانا العليا لا يتحقق إلا عن طريق نقل جزء كبير من الطاقة من عمليات الهو إلى العمليات التي يتألف منها الأنا

والأنا العليا . لذلك فإن زيادة النمو في الأنا والأنا العليا يتوقف إلى حد كبير على ما يتم داخل جهاز من هذه الأجهزة من عمليات النقل أو الانتقال مع الأخذ في الاعتبار أن عملية النقل تجعل من السهل قيام الميول أو الاهتمامات والتفضيلات والقيم والاتجاهات و التعلقات عند الراشدين ثم يتم التخلي عنها فيما بعد . ومن المؤكد عندما يتحقق للشخصية شئ من النمو والتطور أن يصبح من المستحيل على الطاقة النفسية أن تنتقل وتوزع . وعندما يقال انه في إمكان الطاقة النفسية أن تتوزع إنما يعني أن تتجزأ بين عدد من أوجه النشاط على أن نجد الطاقة النفسية الواحدة قد مكنت الفرد من القيام بعدد متنوع من الأعمال فمثلا يمكن للغريزة الجنسية أن تتوزع على عدد من أوجه النشاط كالفلاحة وممارسة الألعاب الرياضية وهكذا.. (كالفن س هول، ١٩٦٧ : ٩٢ - ٩٨) .

" إن الغرائز ومشتقاتها تقبل الانتظام في صورة أزواج متناقضة " مثال : الحياة يقابلها الموت والحب تقابله الكراهية وهكذا . فإذا قامت إحدى الغرائز بممارسة الضغط على الأنا مباشرة أو عن طريق الأنا العليا فإن الأنا تقوم بمحاولة التصدي إلى هذا النوع من الضغط عن طريق التركيز على نقيضه فقد نجد أن المراهق اليتيم الذي يشعر بكراهية شديدة نحو السلطة أو احد أفرادها يقوم بعملية تكوين عكسي بأن يلجأ إلى إظهار مشاعر الحب تجاه هذا الفرد ومن هنا نجد أن الأنا تسهل ظهور مشاعر الحب لكي تخفي مشاعر الكراهية التي تسبب القلق للمراهق اليتيم مع ملاحظة أن مشاعر الكراهية لا تزول تحت هذا الستار ولكنها تظل قائمة وتعتبر مشاعر الحب التي أظهرتها الأنا بمثابة قناع يخفي الكراهية لذلك تسمى هذه الحيلة الدفاعية التي حجبت مشاعر الكراهية عن الشعور والوعي وأظهرت ما يناقضها بعملية التكوين العكسي وفي هذه الحالة نرى أن الحب الذي يأتي عن طريق التكوين العكسي فيه المبالغة وفيه إسراف واستعراض واصطناع وافتعال إذن هو مزيف ومن سماته أيضا انه قسيري compulsive جامدا غير مرن لا يستطيع أن يتكيف مع الظروف المتغيرة مثل الحب والانفعالات الأصلية وذلك خوفا من أن يظهر الشعور المضاد والأصلي إلى السطح وهو الكراهية .

إن الأنا العليا قد تصور تكوينات عكسية لكي تحمي الأنا من الهو ومن العالم الخارجي " فقد تكون مبادئ الفضيلة والخير اقرب ما تكون إلى تكوينات عكسية في مواجهة الشحنات الموجبة البدائية بدلا من أن تكون قيما حقيقية يستطيع الفرد أن يحيا على غرارها " . فمن السهل جدا أن نجد المراهق اليتيم يستخدم التكوينات العكسية لكي يحمي نفسه من الأخطار الخارجية للسلطة أو من الأخطار الداخلية أيضا فنجده عندما يشعر بالخوف من السلطة يقوم بعملية تودد مصطنعة كذلك في حالة خوفه من المجتمع فإنه يظهر بصورة طاعة شديدة لما تواضع عليه أفراد المجتمع فإذا لاحظنا أن هذا المراهق يقوم بالمسايرة والطاعة الشديدة جدا لما تمليه عليه من قواعد ونظم السلطة لعرفنا أن هذه الطاعة الشديدة والمسايرة نوع من التكوين العكسي وهو بمثابة قناع يخفي وراءه دوافع التمرد والعداء خلاصة القول هو أن التكوينات العكسية حيلة لا تؤدي إلى التوافق مع القلق بطريقة معقولة ومقبولة وغير سلبية العواقب بل هي ألوان غير معقولة من التكيف مع القلق وتؤدي إلى إنفاق الطاقة في أغراض الخداع والتملق ليس هذا فقط بل تعمل على تشويه الحقيقة وتغيير الواقع وتجعل الشخصية غير مرنة وجامدة (كالفن س هول، ١٩٦٧ : ١٠٨ - ١١٠)

فإن النمو النفسي عملية تدريجية مستمرة وخاصة في العقدين الأولين من العمر لذلك ينتقل الفرد السوي من مرحلة إلى أخرى بطريقة سهلة وسلسة ، لكن قد يتوقف هذا الانتقال ويتعلق الفرد عند مرحلة من مراحل العمر الأربعة التي يمر بها وهي :

١- مرحلة المهد ٢- مرحلة الطفولة ٣- مرحلة المراهقة ٤- مرحلة الرشد

فإذا حدث هذا النمو النفسي فيكون الشخص قد ثبت ويطلق على هذه المرحلة الثبوت. والثبوت حيلة دفاعية ضد القلق تتم خوفا من التقدم نحو المرحلة الأخرى أو الخطوة التالية بسبب الصعوبات أو الأخطار التي يراها تكمن أمامه .

يري الباحث أن الطفل عندما يتعرض لليتم بفقد والده قد يري بعض الصعوبات التي ستواجهه في مراحل عمره القادمة وهذا قد يؤدي به إلى الثبوت عند المرحلة التي فيها فقد والده وأصبح يتيما وبالتالي فقد تثبت معه الأساليب أو الأفكار الطفلية الأمر الذي قد يؤثر على صورة الأب التي تتكون عنده في اللاشعور بل قد يتأثر في توجهاته نحو السلطة من حيث أن فكره قد يكون ممتزجا بفكر المرحلة التي ثبت عندها والذي يساعد على التثبيت عند الطفل اليتيم هو شعوره بعدم الأمان ونقص الأمن حيث يشعر الطفل بعدم القدرة على مواجهة الموقف الجديد وهو مواجهة السلطة الأبوية البديلة أو غير ذلك . هذا ومن المحتمل أن يبدأ الثبوت في مرحلة المراهقة حيث أن المراهق اليتيم قد خبر موت أبيه وعاش حياة الحرمان من عاطفة الأبوة الأمر الذي قد يجدد في داخله القلق من عدم الحصول على الأمن من أفراد السلطة كبديل للأب . فالمراهق اليتيم أكثر قربا للثبوت من المراهق غير اليتيم حيث أن اليتيم لا يوجد لديه أب يطمئن إلي حبه ويمثل له السلطة الأولى في حياته لذا أري أن النمو النفسي للمراهق اليتيم يمر بمراحل نمو غير ناضجة الأمر الذي قد يجعل المراهق اليتيم يمر بألوان كثيرة من الثبوت كالثبوت الفكري الذي يشكل بدوره صورة الأب بداخله . الأمر الذي قد يحول بين الفرد وبين أن يدرك كل ماله من طاقات نفسية حيث أن الخوف يحول بين الفرد وبين أن ينطلق في نموه النفسي إلى ما هو في مكنته وطاقته

الارتداد والنكوص في مرحلة المراهقة قد يكون له علاقة مباشرة بالتوجه نحو السلطة فمن الطبيعي أن يصل الطفل اليتيم إلى مرحلة المراهقة وإذ به قد يتراجع بسبب الخوف والقلق من مواجهة السلطة إلى مرحلة سابقة فيكون هذا منه بمثابة ارتداد إلى مرحلة عمرية سابقة كان يشعر فيها بالأمن والأمان كذلك أيضا قد نجد المراهق اليتيم الذي يتواجه مع السلطة بطريقة غير مرضية تسبب له القلق والخوف والألم قد يحي نفسه في عالم من الأحلام خاصة به وهذا العالم قد يكون عالم الأب الذي فقدته في مرحلة مبكرة من عمره فنجدته يرتد ويعيش صورة الأب في داخله وفي هذه الحالة إذا حبس المراهق اليتيم نفسه في صورة الأب نجد أن توجهاته نحو السلطة متأثرا تأثيرا شديدا بهذه الصورة وهنا يكون المراهق في حالة هروب من الواقع بقصد الهروب من الخوف والألم الناتج عن مواجهة السلطة من خلال توجهاته نقول أن التمرد على السلطة هو نوع من أنواع النكوص كذلك الخضوع لها بشئ من الخوف حيث أن هذه السلوكيات ترتد به إلى مرحلة الطفولة (كالفن س هول ، ١٩٦٧ : ١١١- ١١٤)

ركز يونغ عند تصنيفه النماذج السيكولوجية للشخصية على تأثير العوامل الموضوعية والذاتية الكامنة حيث أنها تكون دافعا للإنسان ليكون لديه استعداد للقيام بنشاط معين . أما بالنسبة لهذه العوامل فهي " الخصائص والصفات التي يكتسبها الإنسان من داخل الأسرة والمحيط الاجتماعي والاتجاهات الفردية والأفكار الجماعية والاتجاه العام للإنسان " ويؤكد

يونغ أن الذي يحدد نمط الشخصية هو العوامل الذاتية والموضوعية وبالتالي فإن الإنسان دائما لديه استعداد داخلي للقيام بأي فعل أو نشاط معين هادف . فيري يونغ انه يوجد عوامل موضوعية تعمل على استعداد النفس للاستجابة باتجاه معين لذلك فهو يري أن العامل الذاتي هو المؤثر على الاتجاه العام عند الفرد . كما يري يونغ أن العامل الذاتي يتكون ويتعين بالموقف الخارجي ويتأثر بالظروف الموضوعية . ومن هنا فإن العوامل الذاتية والموضوعية والحالة الداخلية للفرد تعمل على تشكيل نماذج من السلوك والشخصيات الإنسانية وبالتالي ينشأ الاتجاه النمطي . وهنا " يتحدد سلوك الإنسان إما بالمواقف الخارجية أو بالاستعدادات الداخلية للإنسان " " أي أن كل من هذين العاملين هو الذي يحدد اتجاه الشخصية " . لقد قسم يونغ الشخصية إلى نمطين أساسيين هما :

**النمط المنطوي:** ويتميز هذا النمط بالتفكير والخيال وتكون شخصية أصحاب هذا النمط متجهة إلى الداخل ومركزة على الذات

**النمط المنبسط :** ويتميز هذا النمط انه يميل إلى الحركة والعلاقات الاجتماعية وان تنظيم شخصية أصحاب هذا النمط يتجه إلى العالم الخارجي .

كما يري يونغ أن طبيعة هذين النمطين تحدده أربعة معالم أساسية هي :-  
التفكير ، الوجدان ، الإحساس والحدس .

يعتقد يونغ انه من الأهمية توفير ظروف اجتماعية مناسبة حيث أن تطوير وتكامل الشخصية لا يمكن أن يكتمل إلا إذا توافرت هذه الظروف وبالتالي فإن هذا الاكتمال لا يتحقق خارج إطار المجتمع أو بعيدا عن المعايير الاجتماعية كما يعتقد يونغ " إن التطور الذاتي للإنسان يعتمد على تطور نشاطه العملي وعلى إقامة علاقات اجتماعية مع الآخرين " وبالتالي فإن تقدم المجتمع المادي ليس من الضروري أن يساعد على التطور الداخلي للإنسان ، تطور الشخصية الروحي بل يري يونغ أن التطور المادي للمجتمع قد يؤدي إلى فقدان الإنسان لشخصيته ليس هذا فقط بل قد يصل الأمر بسبب التطور المادي للمجتمع إلى اختلال الانسجام في حياة الإنسان الداخلية وكل هذا قد يدفع بالفرد إلى الظهور في المجتمع والتجاوب مع الوسط الاجتماعي بأسلوب المسايرة وليس بأسلوب الاقتناع ومن هنا يقوم الفرد بدور اجتماعي معين من منطلق مسايرته لمعايير المجتمع وبالتالي يكون سلوكه متأثرا إلى حد كبير بالآخرين وعليه سوف يشعر بشعور هؤلاء الآخرين بالإضافة إلى استجابته إلى المجتمع بما يحمله من قيم واتجاهات سائدة فيه ومن هنا تظهر الشخصية وكأنها مغتربة عن هذا المجتمع تخفي خلفها الأنا الحقيقية وقد تظهر الأنا المزيفة . وبالتالي قد يحدث انقسام الشخصية إلى الأنا الحقيقية والأنا المزيفة وعليه يحدث تمزق العالم الداخلي للإنسان وظهور الأمراض النفسية ( فيصل عباس ، - : ١٣٠ - ١٣١ )

### **المشاعر الاجتماعية وتأثيرها على توجهات المراهق نحو السلطة :**

ليس الحب والكرهية هما الأساس الذي تتألف منه العلاقات مع الموضوع عند شخص ناضج ، بل توجد مشاعر وأنماط أخرى حسب رأي فينخل هي :

١- مشاعر نحو الموضوع تقل شدتها بالإضافة إلى انه يوجد تعاطف وجداني ونفور وجدان بدرجات مختلفة وهما شبيهها بالحب والكرهية وان كانا يختلفان اختلافا ليس

أساسيا أو جوهريا مما يدل على أنهما من طبيعة واحدة هي الطبيعة اللبديية وان الأساس في نشأتها هو كف الأهداف .

٢- انه أثناء النمو النفسي نجد أن المراحل السابقة لا تختفي نهائيا بل قد نجد لها لدى الأشخاص الأسوياء أيضا ولكن بدرجة معينة وألوان كثيرة من التناقض العاطفي والرغبات الإدماجية وهذه الرغبات الأخيرة " مسئولة عن علاقات عديدة مع الموضوع مشبعة بالتطابقات "

٣- يوجد نمط له أهمية خاصة من بين العلاقات التطابقية وهذه الأهمية هي استخدام الموضوعات في حالتين فيستخدمها كنماذج مثالية يحتذي بها أو أمثلة سيئة يجب الابتعاد عنها وتجنبها .

٤- كل هذا يشكل طريقا إلى شكل أو نمط العلاقات الذي فيه لا يستجاب للموضوع لذاته بل يستخدم كأداة للتخفيف من صراع داخلي .

فإن علاقات الطفل مع بعض الأشخاص غير الأبوين قد ينشأ منها أنماط من العلاقات مع الموضوع وهذه الأنماط هي ليست بحب ولا بكراهية وعلى سبيل المثال العلاقة التي تنشأ مع الأشقاء تعتبر أساس للمشاعر الاجتماعية وبالتالي فإن القوي الداخلية في الفرد هي التي تدفعه إلى تكوين جماعات . لقد أوضح فرويد أن العلاقة بين " الحوافز المكفوفة الهدف " و " التطابقات " من ناحية و " اختيار النماذج والأمثلة " من ناحية أخرى في تكوين الجماعات بقوله : " إذا أقام عديد من الأشخاص موضوعا واحدا بعينه مقام أناهم العليا بوصفه أنموذجهم المثالي ذا الدلالة فإنهم بالتالي يتطابقون الواحد مع الآخر ويطورون مشاعر ضمان مكفوفة الهدف الواحد تجاه الآخر " وقد أكمل ردل Radi هذا النص بقوله " إذا ما استخدم أشخاص عديدون موضوعا واحدا بعينه أداه للتخفيف من صراعات داخلية متشابهة فإنهم يميلون أيضا إلى أن يتطابقوا الواحد مع الآخر وان يستشعروا الحنان الواحد تجاه الآخر " ( اتوفينخل، ١٩٦٩ : ٢٢٤-٢٢٦ ج ١ )

يري روجرز في نظريته أن الفرد منذ الطفولة يتميز بالتدرج نحو بناء الذات والذات في تعريفه لها هي : " تنظيم عقلي معرفي منظم ومرن ولكنه متماسك من المدركات والمفاهيم التي تتعلق بالسماوات والعلاقات الخاصة بالفرد بالإضافة إلى القيم التي تصاحب هذه المفاهيم وتلازمها أي ترتبط بها " ، ولكي تتحقق صحة الفرد النفسية فلا بد لهذه القيم أن يكون لها جذور عميقة وخاصة في استجابات الفرد سواء كانت هذه الاستجابات سارة أو غير سارة ونظرا لأنه كائن حي يجب عليه أن يخبر ويعيش هذه الاستجابات ويتفاعل معها . لذلك نري أن روجرز ينظر إلى علاقة الذات بالكائن الحي على أنها هي محور نظريته عن الشخصية وقد تشبه إلى حد ما علاقة الأنا بالهي عند فرويد . لذلك يري روجرز أن التوتر قد ينشأ عندما تكون صورة الذات والحالة العضوية غير متطابقين وهذا قد يحدث نظرا لأن الفرد يستمد القيم من الخارج (من خارجه ) مستخدما ميكانيزم معين هو الاستدماج Inrojection وهذه القيم التي يستخدمها الفرد من خارجه يدركها وكأنه عايشها من قبل بطريقة مباشرة . هذا وقد تكون القيم التي استدمجها غير متطابقة تماما مع شعوره ذات الأساس العضوي . ويرى روجرز أن التوافق النفسي يكون سينا إذا أنكر الفرد أو رفض أن يعي الخبرات الحسية التي تشكل أهمية كبرى بالنسبة له وهي " تلك الخبرات التي لا يتم ترميزها وانتظامها " ويلجأ الفرد لمثل هذا المسلك الدفاعي عندما يتعرض لخبرات تهدد

الذات ويكون في حالة عدم وجود تناسق بين الذات وهذه الخبرات . ومن هنا قد تكون استجابة الفرد عندما يتعرض لمثل هذه الحالات هي تعديل أو تحويل بنية الذات على نحو يتسع لتلك الخبرات ويتكيف معها . " وتعتبر الذات بمثابة مستجيب كما يمكن أن يشعر به الفرد من حاجات عضوية وغير ذلك من حاجات تتصل من قريب أو من بعيد بالجانب الوراثي في حياته " لذلك فإن الامكانيات الشخصية تنمو بهذه الطريقة . فإن العلاقة بين الإمكانيات والقدرة علاقة طردية فكلما تزايدت الإمكانيات وفاعليتها كلما تزايدت القدرة على ممارسة الاختيار الشعوري . هذا وقد يحدث إشباع لبعض الحاجات مع وجود قدر ولو قليل من الدراية أو الإدراك للواقع الذي يعيشه الفرد وفي هذه الحالة من الممكن أن يتعرض هذا الموقف لمخاطرة تتمثل في إمكانية خضوع هذه الحاجات للتشويه حتي لا تتعرض صورة الذات إلى تقديم تنازلات أو حلول وسط . (ابراهيم قشقوش، ١٩٨٩، : ٥٩ - ٦٠ )

يرى كريت ليفين ( ١٩٣٩ ) أن الفرد عندما يمر بحالة عدم اجتران في البيئة النفسية فإن ذلك يرتبط بحالة التغير التي تحدث بشكل سريع في بنية وتركيب حيز الحياة . ويقصد بذلك العلاقات الاجتماعية على سبيل المثال أو في الحاجات أو الدافعية . أما بالنسبة لظاهرة عدم الاتزان في البيئة النفسية للفرد " فتعتبر في بعض الأحيان خاصية مميزة لفترة المراهقة " . كذلك يمر المراهق في كثير من الأحيان بحالة من الإحباط يسبقه حالة من التوتر . وأن هذا التوتر ينأى للفرد عندما يكون لديه حاجة مستثارة يريد أن يشبعها . ومن هنا تصبح هي الحافز للعمليات النفسية الداخلية مثل التفكير والتذكر والإحساس مما يجعل المراهق يستحضر في ذهنه بعض التوجهات التي يريد تحقيقها مع السلطة ويربط بينها وبين الواقع متأثرا بحالته النفسية أو عدم اتزانه النفسي من خلال حالة الإحباط المسبوقة بحالة توتر نظرا لرغبته في إشباع حاجة معينة عنده عن طريق السلطة مما يجعله يصطدم بالواقع الذي لا يتفق معه من خلال المقارنة بين مجموعة الحقائق التي يعيشها وبين العمليات النفسية الداخلية الأمر الذي قد يؤدي بالمراهق إلى تغيير توجهاته نحو السلطة أو إحباطها مما يجعله يستدعي صورة الأب في داخله كي يعيش معها نشوة تحقيق التوجهات في الخيال فقط . يرى كيرت ليفين أن المراهق عندما يتعرض لحالة من عدم الاتزان والتقلب إنما يعطي لنا انطباعا هو أن المراهق إنسانا هامشيا بالنسبة لمجتمع الراشدين . أما نقاط ضعف المراهق الكامنة يمكن أن تستثار بسبب حيرته وتردده وحيائه لذلك قد نجده يتصرف بشئ من العنف والعدوانية عندما يتعرض لشئ من الرفض أو النبذ قبل الراشدين لذلك نجده يتقمص تقمصات متناقضة نتيجة توحده مع الأقران وأيضا مع الراشدين الأمر الذي قد يترتب عليه " تقلبات شديدة في اتجاهاته وحالته النفسية بصفة عامة " وإذا نظرنا إلى المراهق نجده مقيدا داخل حيز الحركة بمعنى انه داخل نطاق بينته النفسية يستطيع أن يتحرك في حدوده من وضعه الراهن ويعتمد حيز الحركة على إمكانية الفرد الذاتية بالإضافة إلى القيمة التي يستمدتها من بينته الثقافية حيث " تمثل الثقافة عاملا هاما في تحديد مدى اتساع الفجوة التي تفصل ما بين عالم الطفولة وعالم الراشدين وهي التي تحدد امد الفترة التي يقضيها الفرد في طور المراهقة " لذلك يمكن ان نقول بصفة عامة ان مستوي الواقعية أو غير الواقعية التي يفكر فيها وأيضا توجه أعماله انما تؤثر في ما يمكن أن يكون عليه سلوكه . (ابراهيم قشقوش ٨١-٨٤ )

ينشأ الطفل أول ما ينشأ في مجتمع صغير وهو الأسرة . وداخل هذه الأسرة يتعلم الطفل ويكتسب القيم والمعايير السلوكية التي تتناسب مع احتياجات التعامل في المجتمع الأكبر المحيط بأسرته والدخول في علاقات متبادلة كي تنمو لديه تدريجيا القدرة على القيام بدوره في متطلبات الحياة مما ينشأ عنه بعض القلق الاجتماعي فيري اليسون دافيز " أن

القلق ذا الأصول الاجتماعية participant observations يمثل أداة التعلم الاجتماعي ويعني ذلك الخوف المتوقع من العقاب سواء كان هذا العقاب بدنيا أو غير ذلك " وهنا يميز دافيز هذا القلق عن القلق العصابي نظرا لأن القلق العصابي يتميز بأنه غير منطقي وغير مناسب مع الظروف التي يمر بها للضوابط الخارجية والقدرة على ذلك إنما تتحقق بطول فترة المراهقة وبالتالي يصبح القلق الاجتماعي قائما باعتباره آلية داخلية. وهنا نري أن الفرد يبدأ في الاستقلال تدريجيا وبطريقة متزايدة عن القوي الاجتماعية. وهذه القوي هي نفسها التي كانت تكفل له صورة التعزيز فيما سبق. يري دافيز انه يجب التركيز على حاجات المراهق الاجتماعية طبقا لاختلاف مستوي الطبقات الاجتماعية لكل فرد.

حيث يري إن الفرق بين الطبقة المرتفعة من حيث اتجاهها واتجاهات الطبقات المنخفضة إنما يكمن في إن الطبقات المنخفضة تؤكد على الأهداف بعيدة المدى في اتجاهاتها، أما بالنسبة لأفراد الطبقة المتوسطة فهم أكثر اهتماما بالنجاح والمكانة والاعتدال. وأن هذه الطبقة وما لديهم من القلق ذا الأصول الاجتماعية يعد اكبر مما عند أفراد الطبقات الأخرى.

ويري دافيز " أن أهداف المراهقين تتباين من طبقة اجتماعية اقتصادية إلى أخرى " لذلك يمكن أن يقال أن التوجهات التي نعتبرها سليمة ومثابة لدي مراهقي الطبقة المتوسطة قد لا تكون سليمة وإيجابية لدي قرنائهم من مراهقي الطبقة المنخفضة. وهذا يرجع إلى أن أبناء الطبقة المنخفضة قد تعلموا في مناخ يقدر أهمية الخبرة ويعلي منها لذلك هم لا يفضلون أن يتبعوا أي نوع آخر من أنواع الإثابة غير الذي يتعلق بالخبرة. وتبعاً لذلك فإن الاتجاهات التي يشنون أبناءهم عليها تكاد تكون تفتقد إلى الكبح أو الضبط الداخلي في مجالات الجنس والعدوان. " أو أن تتصف باللامبالاة تجاه قيم معينة كالتحصيل الدراسي مثلا " مع ملاحظة إن كل هذه المواقف والسلوكيات الاجتماعية ليست لها صفة العمومية فمن المحتمل أن تكون في بيئة اجتماعية دون الأخرى. وقد تختلف من زمن لآخر ومن ثقافة إلى الأخرى فهي بصفة عامة نسبية. ( إبراهيم قشقوش، ١٩٨٩ : ٩٠ )

ذهب روبرت هافجهرست (١٩٥١) إلى اعتبار التطبيع الاجتماعي عملية تشتمل على تتابع أو تعاقب طويل من المطالب المتدرجة ويتم ذلك عند كل مرحلة عمرية من مراحل النمو كما يري هافجهرست " أن مطلب النمو يشغل مركزا متوسطا بين حاجة الفرد واحتياج المجتمع ويقتضي القيام بالمطلب أو إنجازه مهارة ومعرفة واتجاهات وجميعها يلزم للقيام بها توفر النضج الجسمي والتوقعات الاجتماعية ومسعي الفرد أو حرصه على بذل الجهد " ويشير هافجهرست (١٩٥١) إلى أن القلق الاجتماعي يستثار بواسطة هذه المطالب ويختلف أي مطلب من ثقافة إلى أخرى، كما توجد اختلافات بين الأسر في هذا الأمر طبقا للمستوي الاجتماعي والاقتصادي لكل أسرة ويحدد هافجهرست (١٩٥١) تسعة مطالب غائية تتطلبها فترة المراهقة هي :

- ١- تقبل المراهق للبنية الجسمية وتقبل دوره الذكري أو الأنثوي
- ٢- الانخراط في علاقات جديدة مع رفاق السن من الجنسين كمجتمع خاص به
- ٣- تحقيق الاستقلال العاطفي عن الوالدين وغيرهما من الراشدين
- ٤- بلوغ مستوي مناسب من الأمن بخصوص الاستقلال الاقتصادي
- ٥- اختيار مهنة معينة وبدء الإعداد لممارستها

٦- تنمية أو اكتساب مهارات ومفاهيم عقلية يحتاج إليها الفرد كي يصل إلى مرحلة الكفاية المدنية

٧- الرغبة في أن يسلك سلوكا اجتماعيا مرغوبا من المجتمع والسلطة

٨- بدء الاستعداد للزواج وحياة الأسرة وتكوين مجتمع صغير

٩- تبني نظام قيمي يتناغم مع تصور علمي مناسب عن العالم المحيط

وبالتالي نري أن هذه المطالب التسعة تلعب دورا هاما في تشكيل توجه المراهق نحو السلطة . وعلي السلطة أن تعي ذلك جيدا أو تضع هذه المطالب نصب عينيه وتعمل على التنسيق والتفاعل بل التعاون مع المراهق لتحقيق ما يمكن تحقيقه حسب المرحلة العمرية والزمان المناسب وأيضا بما يتناسب مع الصالح العام للمراهق ولأسرته ولمجتمعه مع مراعاة عدم التصادم معه بل بالإقناع يمكن أن يلتقي المراهق والسلطة حول هذه المطالب والتوجهات . أن عملية التطبيع الاجتماعي هي العملية التي بموجبها يتحول الفرد من كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي اذ يكتسب الفرد خلالها مجموعة من القيم والمعايير السلوكية الأدوار فيتكون عنده بما يعرف بالإطار القيمي وهو القامة التي يقيس عليها سلوكه كذلك يقيس عليها كل ما يصدر من الآخرين من نشاطات وتصرفات . إن الضغوط الخارجية لها دور كبير في عملية تقييم الفرد لذاته

فيرى جورج ميد G.Mead أن اختبار الفرد لذاته عن طريق مجابته لاتجاهات الآخرين نحوه بشرط أن يكون هؤلاء الآخرون يعرفونه حق معرفة . وتحدث Lang ( ١٩٦١ ) بطريقة مماثلة عن تدعيم الفرد لفكرته عن نفسه لذلك نحن نتصور أن هذه المناوشات مع الآخرين تتأثر بالضرورة بالاتجاهات الثقافية السائدة وتوقعات الآخرين وتحيزاتهم تجاه الفرد أو تحاملهم عليه تستطيع " أن تكون ذات تأثير في تقوية أو إضعاف الجذور العميقة لذاتية الذات " . (ابراهيم قشقوش ، ١٩٨٩ : ٩٠ - ٩٤ )

يقول علماء علم النفس الاجتماعي : " أن الذات تتكون نتيجة التقييمات المنعكسة من جانب الآخرين " كذلك من جانب الأدوار التي يجب أن تقوم بها في مجتمع معين . أيضا الشخصية فهي تعتبر كيانا افتراضيا Hypothetical entity كذلك يطلق عليها مكان النقاء لكل العلاقات meeting place of all Relation ship ويرى سولليفان ( ١٩٥٢ ) أن الفرد لا يجب عليه أن يتخذ موضوعا للدراسة بل يجب عليه أن يهتم بالعلاقات الشخصية المتبادلة وان يتخذ منها موضوعا رئيسيا للدراسة . كذلك يرى سولليفان ( ١٩٥٢ ) أن الكائن الحي organism يعد مصدرا للطاقة . وأن الشئ الأساسي الذي يقوم بدور في النشاط أو السلوك الفيزيائي physical functioning هو اختزال التوتر مع التركيز على انه حينما وجد إنسان فإن السلوك يعد محصلة لتفاعل اجتماعي . انه في الوقت الذي يرتبط فيه السلوك بالحاجات البيولوجية بهدف السعي إلى إشباعها . فهو يرتبط من ناحية أخرى ببعض أشكال القلق ذات الأصول الاجتماعية بهدف السعي إلى تحقيق الأمن . ويكمن خلفه الجانب المتعلق بالقلق الاجتماعي هو الخبرات الأساسية للإثابة والعقاب المصاحبة للسلوك السليم وغير السليم على الترتيب وهذه نشاطات يجري تعريفها ثقافيا . ويعد ما يعرف بنسق الذات self system أو ديناميات الذات self dynamism بمثابة صمام الأمن وهو مختص بوظيفة تشير إلى حد ما وظيفة الأنا Ego في التصور الفرويدي مع الاهتمام بوظيفة تحديد مسار السلوك ووجهته . وبموجب هذه الوظيفة فإن نسق الذات يتزايد في النمو حتى يكون بعيدا عن

انتقادات الذات self criticism إلى حد ما مع الأخذ في الاعتبار انه غير قادر على الاستفادة من الخبرة المتضادة وبالتالي فهو يعارض كل تغير يتعرض له . تعتبر كل من فترتي الرضاعة والطفولة المبكرة بمثابة الفترة التي تشهد وضع وجذور نسق الذات . لذلك يتكون لدى الطفل في هذه المرحلة العمرية نوعان من التشخيصات persnification أي التصورات الذهنية التي تتعلق بشخص الأم . وتتصف هذه التصورات بالتقبل والايجابية كذلك الرفق والسلبية وذلك في حالتى ما تكون الأم حنونة تلبية مطالبة أو عندما تبتعد عنه وتشكل بالنسبة له مصدرا للقلق . وبالتالي يترتب على هذه العملية تكوين تصورات مبدئية عند الطفل تتعلق بذاته باعتبارها ذات موجهة أو ذات سالية . إن وظيفة هذه المدركات كما يراها سوليفان هي أنها تستخدم كوسيلة إليه للتغذية الراجعة . feed back mechanism . بالنسبة لتوجه السلوك الظاهري تجاه التقبل الاجتماعي وهكذا يعتبر نسق الذات self system بمثابة ذات اجتماعية شعورية conscious social self أو ذات واقعية Reality Ego تتضمن بعض عناصر أو مكونات لا شعورية few unconscious over tones بينما يري سوليفان انه من المتعذر اكتشاف وتحديد اللاشعور عمليا .

( إبراهيم قشقوش ، ١٩٨٩ : ٩٧ - ٩٨ )

### أفكار المراهق الذاتية وتأثيرها على توجهاته نحو السلطة :

يري الكيند El kind ( ١٩٦٧ ) أن المراهق في بداية دخوله مرحلة المراهقة وأيضا عند بداية إحساسه بوعيه الذاتي ينظر إلى نفسه وإلى مشاعره وأحاسيسه نظرة غير عادية بل نظرة خاصة نظرا لأنه يضع هذه المشاعر والأحاسيس في درجة عالية من الخصوصية ويرجع ذلك كله إلى " الإصغاء التخيلي imaginary audience الذى يجنح إليه المراهق في ذلك الوقت " إن اكتشاف المراهق لذاته هو إحساسه بنفسه بأنه قادر على التفكير بموضوعية وهذا الأمر يخبره المراهق بصورة فجائية إلى حد ما . قام نيكسون Nixon ( ١٩٦١ ) بدراسة طب نفسيه أوضح فيها أن فترة المراهقة التي تمتد ما بين ١٥ - ١٨ سنة هي المرحلة العمرية التي فيها يتم اكتشاف الذات . وان الاستقلال بالنسبة للمراهق يرتبط باكتشاف الذات عنده حيث أن هذا الأمر يشكل شبه أذمة عند المراهق تتخلص في انه يريد التحرر من سلطة الوالدين والاضطلاع بدور الراشدين وأيضا يمر بأزمة إظهار الهوية أو الكينونة والتعبير عنها " وهي تتضمن في كثير من الأحوال مشاعر وأحاسيس تدور حول الأبوين والأخوة والأقارب والأقران والذات والجنسية " (إبراهيم قشقوش ، ١٩٨٩ : ١٩٨ - ١٩٩ )

إن أفكار المراهق الذاتية تنحصر في إحساسه بأنه قادر على التفكير بموضوعية مما يجعله يثق في توجهاته نحو السلطة على أنها توجهات منطقية وموضوعية حيث يكون مقتنعا بنفكيره الذاتي حول هذه التوجهات وبالتالي فليس من السهل أن يقتنع برأي السلطة وأفكارها إذا كان هذا يتعارض مع توجهاته التي هي محل اقتناع ذاتي منه بناء على ما تملبه عليه أفكاره الذاتية من انه يفكر بموضوعية . الأمر الثاني الذي يراه الباحث هو أن المراهق يكتشف ذاته في مرحلة المراهقة لذلك هو يجنح إلى الاستقلال في هذه الفترة وخاصة من سلطة الوالدين لأنه يسعى أن يقوم بدور الراشدين الأمر الذى يعرضه للتخبط في توجهاته نظرا لأنه يشعر بالكينونة والإحساس بأنه راشد وبيتغي الاستقلالية في حين أن أفكاره وثبات الانفعالات لديه لم تستقر بعد . فنجدته متغير الرأي وأيضا سيكون متغير التوجه ومن هنا يحدث له تخبط في معاملته مع السلطة ويرجع ذلك إلى عدم ثبات توجهاته بقصد إثبات ذاتيته وكينونته .

## صراع المراهقة والتوجه نحو السلطة [من وجهة نظر التحليل النفسي]

تري مدرسة التحليل النفسي أن الصراع أحد الملامح الضرورية للنمو وفي هذا الإطار . تري أنا فرويد ( ١٩٥٨ ) انه يجب أن ننظر إلى المراهق نظرة عادية إذا سلك مسلك متضارب وغير مستقر لفترة من الوقت حيث يعتبر هذا من الأمور العادية التي يمر بها المراهق في هذه المرحلة العمرية في حين إننا نرى أن هذا السلوك المتضارب يأخذ فترة من الوقت تبدو طويلة نسبيا . ويتمثل هذا التضارب في أن المراهق نجده يتقبل بواعثه ودوافعه ثم يقاومها ويقمعها ثم نجده مدفوعا لحب والديه ثم يشعر بالكراهية نحوهم يثور ضدهم ولكنه يعتمد عليهم . يميل إلى تقليد الآخرين والتوحد معهم في الوقت الذي فيه يحاول أن يثبت هويته وذاتية الخاصة الأمر الذي يجعله يتجه نحو السلطة ويتوحد مع أحدهم ويقلد البعض منهم ويوافق على أفكارهم ويدافع عنها ولكن سرعان ما يتغير هذا الشعور وتتغير معه توجهاته وقد يحدث تعارض بينه وبين السلطة وبين أفكاره وتوجهاته وأفكار السلطة . حيث انه أن المراهق يسعى في هذه الفترة لأن يكون أكثر مثالية وأكثر براعة ونبلا وكريما وأكثر إثارا عن أي وقت آخر في مراحل عمره . ومع هذا نجد أن المراهق متمركزا حول ذاته أنويا Egotistic حذرا .

تقول أنا فرويد : " أن هناك عدة مواقف حياتيه أثناء مسعى المراهقين لتحرير أنفسهم يبدو فيها التعامل معهم أمرا بالغ الصعوبة " يعتقد أنصار مدرسة التحليل النفسي " أن المراهق يرفض ذاته الطفلية Baby-self تلك الذات التي يرتبط بها بالوالدين ارتباطا وثيقا " هذا وفي نفس الوقت الذي يسعى فيه لتأكيد ذاتيته الخاصة وتميزه عن غيره واستقلاله نجده في حاجة ماسة إلى الحب والمساندة والحماية من الوالدين ومن السلطة أيضا بصفة عامة . وكل هذا الاحتياج لا يغير نظرتهم إلى الآباء والسلطة على إنهم مخطئون في حقه وذاتيته وبالتالي فعلى الآباء وأفراد السلطة أن يكون لديهم الصبر والاحتمال والحب تجاه المراهق حتى يتخطى كل هذه المتضادات التي تسيطر عليهم في هذه المرحلة الحرجة كما يجب على السلطة المساندة القوية لهم الممزوجة بالحب واحترام ذاتيتهم إلى أن يصلوا إلى مرحلة الرشد دون اضطرابات نفسية . (إبراهيم قشوش، ١٩٨٩: ٢٢٨)

كما يشير إبراهيم قشوش انه كلما اكتسب الأنا سيطرته على الطاقة تزداد قدرته على الكفاءة والتميز والاستدلال وباقي العمليات التي ذكرناها كما نجد أن العالم يتخذ معاني جديدة بالنسبة للشخص كلما ازداد ما يتعلمه عن هذا العالم كذلك نجد أنه كلما ازدادت معرفة الشخص بالعالم ازدادت قدرته على تسخير هذا العالم لقضاء أغراضه .

يري الباحث أن الأمر الذي جعلنا نقول أن المراهق اليتيم كلما اكتسب الأنا عنده السيطرة على الطاقة وازدادت قدرته على التمييز والاستدلال والتذكر كلما استطاع أن يقوم بتوجهاته نحو السلطة ويصح مسار تفكيره ويتحرر من التوجهات الخاضعة لسيطرة الهو وبذلك نجده يصنع لنفسه العلاقة المتوازنة مع السلطة بناء على سيطرة الأنا عنده على مقدرات الطاقة كما تساعد الأنا على التذكر السليم والتخيل لصورة الأب تخيلا واقعيًا بعيدا عن تخيل طاقة الهو مما يجعل توجهاته نحو السلطة المبنية على صورة الأب لديه توجهات واقعية متزنة تخدم أغراضه السوية .

كذلك نجد أنه يترتب على تحول الطاقة من عمليات الهو التي تستند إلى العقل إلى عمليات الأنا المعقولة ازدياد مطرد في السيطرة على الطبيعة لا بالنسبة للفرد أثناء نشأته

ونموه فحسب بل كذلك بالنسبة للجنس البشري أثناء تطور أجناسه وحضارته " يجب استخدام بعض طاقة الأنا في كف وتأجيل ما ينساب خلال الجهاز الحركي من استشارات " وهذا التأجيل يكون القصد منه إتاحة الفرصة للأنا كي تخطط للتصرف قبل أن يبدأ السلوك وهذا يعود على الشخص وخاصة المراهق اليتيم بالفائدة الكبرى ويمكنه من التخطيط والتنظيم لتوجهاته وتطلعاته نحو السلطة بما يتلاءم مع الواقع ويبعده عن التضاد والاختلاف مع السلطة بل يكون تفكيره إلى حد كبير منطقياً سوياً بعيداً عن طاقة الهو وعندما نجد استخدام طاقة ما في مواجهة طاقة أخرى معترضة عليها وعلى طريقها تسمى هذه القوة المعترضة بالشحنات المضادة السلبية ( onti – cathexes ) فالشحنة السلبية هي شحنة من الطاقة تقاوم شحنة أخرى والشحنة السلبية المقاومة عند الأنا تتوجه ضد شحنات الهو لأن شحنات الهو لا تستطيع تحمل التوتر بل تطالب بالتخلص منه بطريقة مباشرة . أن النطاق بين الأنا والهو أشبه بالحدود بين بلدين يحاول أولهما أن يغزو الآخر فيقوم الثاني بعمل التحصينات اللازمة لهذا الغزو " الشحنات المقاومة أو السلبية عند الأنا " والتي يمكن أن يستخدمها في صد الغزو الذي يعترضه والذي يتمثل في شحنات الهو فإذا ما عجزت الشحنات المضادة أو السلبية عن المقاومة فإن شحنات الموضوع عند الهو تطغى وتسيطر على الأنا مما يؤدي ذلك إلى السلوك الاندفاعي الغير منضبط والغير متزن ويحدث ذلك في حالة ما قد يفقد الفرد السيطرة على نفسه في حين يكون من عاداته الاحتفاظ باتزانه وثباته .

( كالفن س هول ، ١٩٦٧ : ٤٨ - ٥٥ )

يري الباحث أن اتزان التوجهات ودافعيتها نحو السلطة بالنسبة للمراهق اليتيم وأيضاً غير اليتيم تتوقف على درجة شحنات الأنا ومدى مقدرتها على مقاومة شحنات وطاقة الهو الأمر الذي يجعل المراهق اليتيم قد يتخيل صورة الأب في ذهنه طبقاً لما تمليه الشحنات القوية بداخله إذا كانت شحنات الأنا أمام شحنات الهو . أحيانا قد تستخدم طاقة الأنا في تكوين شحنات موضوع جديد والسبب في أن الأنا يمتلك فائض ليس بقليل من الطاقة وهذا الفائض يوفر نتيجة قيام الأنا بوظائفه في كفاية واقتدار وأن هذه الطاقة تزيد عن احتياجات الحياة الضرورية والحيوية . هذا وكلما كان الأنا متوخياً الاعتدال والاقتصاد عند قيامه بإشباع حاجات الجسم كلما توفر له قدر كبير من الطاقة يمكن أن يستخدمه أثناء أوقات الفراغ في أنشطة متعددة ومن المعروف أن طاقة الأنا تستخدم في التنسيق والتآلف والتكامل بين أجهزة الشخصية وفي حالة تحقيق هذا التآلف فإنه يتم نوع من الانسجام الداخلي والتفاعل السلس مع البيئة .

أن طاقة الأنا تعتبر أكثر قيوداً من طاقة الهو حيث أن طاقة الأنا غالباً ما تستخدم في عمليات عقلية وليس في سلوك اندفاعي أرعن كذلك أن طاقة الأنا لا تستهلك في تفكير اشتهائي غريزي ويرجع ذلك إلى أن دور الأنا يضطلع بتقييد الطاقة حين يوجهها إلى عمليات نفسه وعندما يقوم الأنا باستغلال الطاقة في الشحنات السالبة أو شحنات المقاومة " كذلك حين يقوم بتكوين اهتمامات الأنا واستخدامها في تحقيق التآلف والتكامل " كذلك فإن هذه الوظائف جميعها تزداد الطاقة لديها كلما ازداد نمو الأنا وتطورها . وجاء في كتابات فرويد عن التحليل النفسي بأنه " تصور ديناميكي يرجع الحياة العقلية إلى ما يحدث من تفاعل بين قوى دافعة وقوى ضابطة " ويمكن تعريف القوى الدافعة بأنها الشحنات كذلك القوى الضابطة تعرف بأنها مضادات الشحنات . وأجهزة الشخصية هي التي تملك هذه الشحنات ومضادات الشحنات مع تميز كل جهاز فيما يملكه فالهو يملك الشحنات فقط أي

القوي الدافعة بينما الأنا والأنا الأعلى فإنه يملك قوى ضابطة أي شحنات مضادة بالإضافة إلى امتلاكه القوى الدافعة أي الشحنات . ويفهم أن مضادات الشحنات هي نوع من الإحباط الداخلي فالقوى المقاومة تحيط تفريغ التوتر لذلك يطلق عليه الكف الداخلي فإذا رغب الفرد أن يعمل شيئا ثم وقف الأنا والأنا الأعلى في طريقه يسمى هذا إحباطا داخليا . وقد لاحظ فرويد أن الإحباط الداخلي لا يتحقق إلا إذا هيا له الإحباط الخارجي أي أن الشخص يلزم له أن يخبر الحرمان من قبل أن تنشأ عنده الضوابط الداخلية . (كالفن س هول، ١٩٦٧: ٤٨-٥٥)

يري الباحث أن الطفل لا يستطيع تكوين ضبط النفس إلا بعد أن يكون قد مر بفرصه ليتوحد مع والديه ويخضع لنواهيها الخلقية فالطفل لا تنشأ عنده الضوابط الداخلية على سلوكه إلا بعد أن يعرف ما هو قبيح ومحتمل بان يعاقبه أبواه على فعله . لذلك عن طريق القوى الدافعة والقوى الضابطة يمكن معرفة تحديد الاتجاه نحو السلطة حيث انه يمكن فهم الطريقة التي يفكر بها المراهق ويعمل فإذا كانت القوى الدافعة أقوى من القوى الضابطة فإن تصرف ما سوف يحدث أو فكرة ما ستصبح شعورية وهنا نجد أن المراهق اليتيم سيفصح عن توجهاته نحو السلطة عن طريق القوى الدافعة والقوى الضابطة لأن أفكاره سوف تتبلور إلى شعور.

أما بالنسبة للأنا المثالية نجدها تهدف وتسعى للكمال لذلك تستنفذ طاقتها في تكوين مثل عليا وهذه المثل العليا مأخوذة من الوالدين وبالتالي فهي تكون موضوعات اختيار ذات صبغة كمالية لذلك فإن صورة الأب عند المراهق اليتيم الذي تكونت عنده الأنا المثالية بهذه الحالة نجده يتخيل الأب بصورة أبعد إلى حد ما عن الواقع الذي كان عليه الأب بالفعل وذلك بفعل ضغط الأنا المثالية التي تتخيل دائما الكمال وبذلك تستطيع أن تصف هذا الشخص بأنه مثاليا وخياليا وهذا ينعكس على اختياره للموضوعات كذلك تحدد ميوله بقيمتها الخلقية أكثر من قيمتها الواقعية وينصب اهتمامه على التمييز بين الحسن والردئ أكثر من التمييز بين الحقيقي والزائف كما نجد أن هذا الشخص يهتم بالفضيلة أكثر من الحقيقة . ومن هذا المنطلق فإن توجه هذا المراهق اليتيم نحو السلطة يتأثر تأثيرا شديدا بمكونات الأنا العليا والأنا المثالية حيث انه يتخيل الأب بصورة أبعد من الواقع كذلك فإن توجهاته نحو السلطة تكون أبعد من الواقع وأقرب إلى الخيال إلى حد ما ويكون ذلك شحن قوة الأنا المثالية والأنا الأعلى والتي تتمثل في المثل العليا المأخوذة من الوالد كذلك الموضوعات ذات الصبغة الكمالية . لكن الواقع مع أفراد السلطة بصفة عامة لا يمكن أن يتحقق فيه الكمال والمثل العليا كما يتخيلها هذا المراهق الذي ترتفع عنده قوة الأنا العليا ومن هنا يكون رد الفعل محبط إلى حد ما وقد يدفع بالمراهق إلى التقوقع والانسحاب من عملية التفاعل مع السلطة بسبب عدم تحقيق مثله العليا بواسطتهم كما لا أستبعد أن يكون عند المراهق اليتيم توجهات تحمل غير ذلك إذا ما كان عملية تكوين الأنا الأعلى واجهها سلوك وتعاليم سلبية لدى الأب لأثر في مستوى المثالية في نظر الأنا الأعلى والأنا المثالية .

كما يري الباحث أن من العوامل المؤثرة تأثيرا سلبيا في توجهات المراهق اليتيم نحو السلطة هو أن أنه تستشعر الكبرياء عن طريق التوحد أو التقمص مع الموضوعات الخلقية التي تختارها الأنا المثالية مما يجعل الأنا تشعر بالفخر ويعتبر هذا الفخر هو بمثابة مكافأة تعطيها الأنا المثالية للأنا نظرا لأنها خبره صالحة لذلك فإن استشعار الأنا الكبرياء يؤثر تأثيرا أرى أنه سلبى إلى حد كبير حيث أن المراهق صاحب هذا الأنا يرى في نفسه خبرات وأفكار لا يجب التنازل عنها في مقابل التعاون مع السلطة والدخول في المرونة المطلوبة منه

وعلى العكس عندما تتوحد الأنا مع موضوع يعتبره الأنا الأعلى غير ذي أهمية فإن الأنا الأعلى يجعل الأنا يشعر بالخجل والإثم وهذا الإحساس يشبه إلى حد ما إحساس الطفل عندما كان يعاقبه والداه إذا ارتكب أمر غير مرضى وهذا أيضا له مردود على التوجه نحو السلطة فالشعور بالخجل يجعل الفرد يحجم عن مثل هذه الأعمال مما يجعل المراهق يتردد كثيرا في توجهاته نحو السلطة خوفا من أن تكون خاطئه فتعاوده عملية الخجل والإحساس بالإثم وأن ميكانيزمات التوحد تقوم بعمل هام وهو نقل الطاقة من الهو إلى كل من الأنا والأنا الأعلى ثم بعد ذلك تقوم كل من الأنا والأنا العليا باستخدام هذه الطاقة في تحقيق أو إحباط هدف الهو وهو " الحصول على اللذة والتحرر من التوتر وتجنب الألم " .

أيضا يري الباحث أن الأنا تدعم الهو بهدف إشباع الغرائز كما نرى الأنا العليا يقاوم الهو باستمرار حيث أن الأنا العليا يقف موقف العداء للغرائز غير الخلقية الباحثة عن اللذة ومع كل ذلك يمكن أن نرى أن الأنا العليا يمكن أن تعمل لحساب الهو بقصد تحقيق إشباع الغرائز وبالتالي نفهم أن الأنا العليا يمكن أن تعمل لحساب الهو في علاقته بالعالم الخارجي وهذا الفعل له آثار سلبية من حيث التوجه نحو السلطة حيث أن الفرد في هذه الحالة يشعر عن طريق الأنا بأنه شخص حقير وعديم القيمة ويرجع ذلك إلى أن الأنا الأعلى يصبح معاديا ومضادا للأنا بشكل قوى ويكون ذلك عند الشخص المتمزمت خلقيا وعن طريق الشعور بأنه عديم القيمة وحقير فإن جميع التوجهات نحو السلطة ستتطفئ وتتلأشي نظرا لشعوره بأن لا قيمة في الحياة وفي هذه الحالة نجد أن العدوانية الموجهة إلى الذات تشبع العدوانية عند الهو إن الشخص الذي يتمتع بنظرة سامية عن نفسه نجد عنده الأنا العليا تحقق إشباعا للهو من خلال مهاجمة الناس الذين ينظر إليهم على أنهم غير أخلاقيين وبالتالي يرتفع في داخل هذا الشخص التعالي على أفراد السلطة كذلك توجهاته يكون سقفا عالي جدا نظرا لأن هذا المراهق ينظر إلى نفسه نظره تعالي وينظر إلى أفراد السلطة نظرة أقل بكثير مما يجعله غير متجاوب مع السلطة وغير مستمع لآرائهم ويمكن يصل الأمر إلى حد العداء أو الصدام ..

إن الأنا العليا والهو نجد بينهما عملا مشتركا هو أنهما يعملان بطريقة لا عقلية أو غير منطقية بل يقومان بتحريف وتزييف الحقيقة ومن هنا يمكن أن نخلص القول في أن الهو والأنا العليا يشوهان تفكير الأنا الواقعي حيث أن الأنا العليا تقوم بتفسير الأنا بناء على انه يري الأشياء كما ينبغي أن تكون وليس كما هي في الواقع وفي نفس الوقت يقوم الهو بإجبار الأنا أن يري العالم كما يريده الهو أن يكون وسوف يترتب على اتحاد الهو والأنا العليا ضد الأنا " أن تنحرف العملية الثانوية وعملية اختيار الواقع ومراجعتة ومبدأ الواقع وذلك بفعل القوى غير المعقولة غير المنطقية " . ( كالفن س هول ، ١٩٦٧ )

يري الباحث أن توجهات المراهق في هذه الحالة مبنية على رؤية غير منطقية وغير معقولة لأن هذه التوجهات نابعة عن عمليات لا عقلية أو غير منطقية حيث تم تشويه الحقيقة وتزييفها بناء على أن الهو والأنا العليا شوها تفكير الأنا الواقعي لذلك توجهات المراهق اليتيم في هذه الحالة قد تكون مشوهة إلى حد ما .

أن كمية الطاقة في الإنسان والخاصة بشخصيته محدودة فكلما زادت طاقة الهو نقصت طاقة الأنا والأنا العليا ومن هنا نفهم أن تنشيط أي جهاز من أجهزة الشخصية يضعف الأجهزة الأخرى في الحقيقة أن سلوك الفرد محدد بديناميكية الشخصية وهي عبارة عن التغيرات في توزيع الطاقة في الشخصية فإذا كانت معظم الطاقة أو غالبيتها تحت سيطرة

الأنا العليا كان سلوك الشخص أخلاقيا وإذا كانت غالبية الطاقة لسيطرة الأنا كان سلوك الفرد واقعيا أما إذا كانت الهو تتمتع بقدر كبير من الطاقة فإن سلوك الشخص يتصف بالاندفاع مع العلم أن الهو هو مصدر كل الطاقة النفسية لذلك يمكن القول أن سلوك الفرد وأفعاله ليس إلا تعبيراً " وانعكاساً " لتوزيع الطاقة على أجهزة الشخصية ( كالفن س هول ، ١٩٦٧ : ٥١ - ٥٤ )

إن الأنا العليا وقت الحالات الصعبة والأزمات ليست هي وحدها التي تؤدي إلى احتمال الانهيار العصابي عند الشخص فموقف الأزمة " من الناحية السيكولوجية يتميز بخاصتين متناقضتين : فهو يتطلب مسئولية أفعال تمثل انطلاقه غريزية كانت حتى ذلك الحين ممنوعة ولكنه في نفس الوقت يحرر الشخصية من المسئولية مبتعثاً شكلاً من الأسلوب الفمى الاستقبالي القديم في السيطرة على العالم الخارجي " . ( اوتوفينخل ، ١٩٦٩ : ٢٩ - ٣٠ ج ٢ )

يري الباحث أن فرد السلطة بالنسبة للشخص هو المتحمل المسئولية ولديه الإمكانيات والقدرة على ذلك ومن هنا ينظر إليه الشخص المراهق الذي تواجهه الأزمة على أنه أى فرد السلطة هو الذى من واجبه وفي قدرته منح الحماية وفى حالة ما يخيب هذا التوقع تكون عظمة خيبة الأمل . لا يتوقف الأمر على أن الأنا العليا هي الأمرة الناهية وهذه الأوامر والنواهي تختلف وقت الأزمة " عن تلك التي كانت معمولاً بها وقت السلم " ولكن التطفيل الذى يميز الأزمة يشمل عملية إسقاط الكثير من وظائف الأنا العليا على أفراد السلطة فإذا ما أخفق أفراد السلطة في القيام بدورهم من حيث حماية الشخص أو تحفيزه سواء بالمكافأة أو التشجيع فيكون هذا الإخفاق ذا آثار سيئة على نفسية الشخص حيث يكون الشخص " قد فقد عاداته القديمة في أن يعمل كأننا علياً لنفسه " وبالتالي تتولد في نفسه الكراهية لأفراد السلطة التى تقوم مقام الأب ( البديل الأبوى ) والذي في نظر الشخص أنه قد فشل في الحماية هذا ويمكن أن تتعرض هذه الكراهية للإدانة من جانب الأنا العليا الأصلية مما يتولد عنه مشاعر إثم وصراعات خطيرة مع أفراد السلطة . فإن استقرار الشخصية للفرد يحدده التاريخ الطفلى له بمعنى أن تاريخه الطفلى يتدخل في تحديد بعض الصراعات الكامنة والتي من الممكن أن تظهر ثانية مع ملاحظة انه كلما عظمت تلك الكيوتات قلت الطاقة الحرة المتاحة للسيطرة على الاثار الجديدة التى يتعرض لها الفرد من قبل السلطة بالإضافة إلى أن ذلك يؤدي إلى تعظم الفرصة للآثار الصدمية ومن هنا فإن نشأة العصاب الصدمي يكون أساسه تاريخ وتجارب الطفولة . إذا رأى الشخص أن الواقع غير محتمل فإنه يقوم بقطع صلته بهذا الواقع ولكن يظل لديه قدر من التنبيه شبه الشعورى . فإذا أصبح هذا الواقع محتملاً فى هذه الحالة يعيد الشخص صلته مع الواقع الجديد .

## المنطلق الثالث : دينامية الشخصية

### دينامية الشخصية والعوامل المؤثرة فيها منذ الطفولة وحتى المراهقة :

يرى أدلر أن فهم شخصية الفرد وطبيعته الداخلية يتطلب البحث عن الخلفية الاجتماعية التي كان يعيش فيها نظراً لأن الإنسان كائن اجتماعي تتكون شخصيته من مجموعة من السمات في إطار معايير أخلاقية وثقافية واجتماعية معينة وحيث أن الإنسان يتأثر بالروابط الاجتماعية ، فلكى نفهم العمليات والنشاط الداخلي له لا بد وأن ندرس ونفهم العلاقات الاجتماعية التي يتواجد فيها وقيمها مع الآخرين . ويرى أدلر أن الظروف الاجتماعية والاقتصادية تؤثر تأثيراً مهم على دوافع السلوك للفرد وعلى تفكيره ، ولذلك " الإنسان كائن اجتماعي قادر على خلق شخصيته من خلال نشاطه الذاتى " ويرى أدلر أن

الظروف الاجتماعية والاقتصادية تعمل وبطريقة مؤثرة في تكوين طبع الإنسان Character بالإضافة إلى أن البيئة النفسية الداخلية وأيضاً من خلال تأثير هذه الظروف " تتكون التصورات الزائفة لديه وردود فعله الخاطيء تجاه متطلبات هذه الظروف ". لذلك يرى أدلر أن الإنسان تحدد تطور نفسيته واتجاه سلوكه ونشاطه وتشكيل مواقف قوى لا شعورية . ويرى أدلر انه عندما نريد الكشف عن العالم الداخلي للشخصية و دوافع السلوك والخصائص النفسية لابد أن نركز على مفهومى النزوع إلى السلطة والميل الاجتماعي . (فيصل عباس ، - : ١١٨ - ١١٩ )

يقدم يونغ تفسيراً خاصاً للمسائل التي طرحت حول " مفهوم العوامل الذاتية والموضوعية لدوافع النشاط عند الفرد والمستويات البنوية في النفس والنشاط الرمزي للاشعور والكشف عن دور الرغبات اللاشعورية في تشكيل نشاط الفرد " هذا بالإضافة إلى انه يحاول أن يركز على أهمية العوامل الذاتية والموضوعية التي تحدد مدى تقبل واستعداد النفس للاستجابة إلى مواقف معينة ومدى تأثير هذه العوامل على تطور الشخصية عند الفرد

فان الأفكار والمدرجات والذكريات والمشاعر الواعية هي المكونات الأساسية للشعور أما العمليات اللاشعورية هي العامل الرئيسي في توجيه السلوك الإنساني حيث أنها تعتبر من أهم العوامل في تنظيم الشخصية أو تصدعها ويقسم يونغ تركيب الاشعور للشخصية إلى قسمين أساسيين هما : ١- الاشعور الفردي أو الشخصي : تكون الاشعور الفردي من الخبرات التي اكتسبها الفرد وهي في البداية تكون شعورية ثم تتحول إلى لا شعورية بسبب عوامل النسيان والكبت هذا بالإضافة إلى أن الاشعور الفردي هو عبارة عن مجموعة العقد التي نتجت عن تراكمات لأفكار ومشاعر وذكريات مكبوتة في داخل شعور الفرد وهذه التراكمات تؤثر تأثيراً فعالاً على سلوك الفرد بالإضافة إلى سيطرتها على مجال الشعور في العمليات النفسية . هذا بالإضافة إلى أن هذه العقد تعتبر التي تدور حولها بعض من أنماط معينه من الخبرة التي تتعلق بهذه النواة وتكون جزءاً منها . مما يعني أن هذه العقد تتكون أساساً من مجموع خبرات الطفل وعلى الميراث الإنساني البعيد . وإذا نظرنا إلى السلوك الإنساني نجد أن العوامل التي تؤثر فيه وتوجهه هي الأفكار والخبرات والمشاعر التي تتجمع وتتنظم معا في تشكيلات متسقة ومؤثرة . وإن أردنا الكشف عن مثل هذه العقد وعن طبيعتها يمكن أن نستخدم " اختبار تداعي الكلمات " لمعرفة الاستجابات السلوكية وذلك من خلال الكلمات المثيرة التي تتعلق بالعقد عند الفرد . ٢- الاشعور الجمعي : إن الشخصية يوجد بها جوانب كثيرة كامنة ومن بين هذه الجوانب الاشعور الجمعي وهو أكثر الجوانب كمونا في الشخصية حيث يتكون من موروثات عن الماضي الإنساني كالذكريات كما يتضمن التاريخ السلالي للإنسان ويعتبر يونغ أن الاشعور الجمعي هو الأساس في تاريخ النفس البشرية لأنه يشمل جميع الآثار المتعاقبة لخبرات الإنسان . (فيصل عباس ، - : ١٢٥ - ١٢٧ )

مفهوم الذات بالنسبة ليونغ هي مجموعة المبادئ التنظيمية في الشخصية وهي تجمع حول كل النشاطات المختلفة والموجهة بغرض تحقيق الكمال ومن مميزات هذه المبادئ أنها تزود الشخصية بالوحدة والاستقرار الذي يهدف إليهما الفرد في حياته . يرى يونغ " أن الذات هي ذات النفس البشرية كلها وليس الأنا الواعية وحدها الذي تتركز حوله جميع صفات الإنسان " . " إن بيئة الشخصية تتكون من الشعور والاشعور الذان يكونان الذات " وأن الإنسان يرث معطيات مباشرة للنفس البشرية من الخبرة الماضية البعيدة وهذه المعطيات تتضمن جوانب اجتماعية مملوسة أو تصورات رمزية توجه السلوك الإنساني . إن استثارة مشاعر القلق والاضطراب التي تجتاح الفرد إنما تتأتى بظهور المادة غير المعقولة من

اللاشعور الجمعي . إن قلق الشخصية يتكون نتيجة الخوف الناتج من " سيطرة قوى اللاشعور الجمعي غير المعقولة على الأنا وعلى اللاشعور الشخصي " . ( فيصل عباس ، - : ١٢٩ )  
انه لمن الأهمية اكتشاف آثار تركيب ووظائف الأسرة في نمو شخصية الطفل فيجب دراسة كل منحنى من مناحى السلوك الأسري والذي يكون له هدف سيكولوجي وذلك من حيث علاقة ترتيب ولادة الطفل ودراسة الروابط بين ترتيب الطفل في المواليد والعرقية أو الضعف العقلي والعدوانية والشعور بالسيطرة والحساسية للألم وحب الاجتماع والاتجاهات الدينية والسياسية وأيضا علاقة ترتيب الميلاد بالانفعالية والثبات الانفعالي والبناء العصابي وأيضا السعادة والحقد ( كمال دسوقي ، ١٩٧٩ : ٣٣٠ )

لقد أظهرت الدراسات التي أجريت على الحرمان من الأمومة ( ومن الوالدين ) وتأثير ذلك على الأطفال وأهمية الدور الذي تلعبه الأسرة وخاصة العلاقات المبكرة مع الطفل في نموه فقد يعوض الطفل عن بعض الآثار التحديدية التي للحرمان من الوالدين أو احدهما ( الأب ) بصورة أب آخر أو بديل للأب وهذا قد لا يكون كافيا لإشباع حاجات بصورة أب آخر أو بديل للأب وهذا قد لا يكون كافيا لإشباع حاجات الطفل من الحب الأبوي الأصلي مما قد يؤدي إلى بعض التأثيرات النفسية التي قد تلعب دورا مهم في حياة هذا الطفل عندما يصل إلى مرحلة المراهقة لذلك فان أهمية العلاقات الأسرية بالنسبة للنمو وخاصة في وجود الأب من العوامل المهمة التي قد تساعد كثيرا على الاستقرار النفسى في مرحلة المراهقة هذا بالإضافة إلى فقدان السلطة الأبوية يلقي بمسئولية أكبر على السلطة المدرسية نظرا لأن الأولاد يقضون وقتا أكثر في المدرسة ويكون تعاملهم مباشر مع السلطة المدرسية الأمر الذي يجعل على عاتق السلطة المدرسية التفهم للدور الحيوي الذي تلعبه في تنشئة الطفل وخاصة إذا كان هذا الطفل يتيما فاقد للسلطة الأبوية .

من الملاحظ انه عندما يفقد الطفل الدفء الوالدى الذى كان يغمره بالحنان كوليده وخاصة في السنوات الأولى من العمر فان ذلك قد يؤدي به إلى ازدياد التوتر والقلق وبعض الظواهر النفسية السلبية الأخرى مما قد يدفعه للاحتكاك بالآخرين خارج المنزل أو مع بعض أفراد السلطة الأخرى البديلة للأب بحثا عن تعويض ما فقدته من دفاء وحنان أبوي مما قد يترتب عليه عدم تجاوب بعض أفراد السلطة معه وعدم تعويضه بالقدر الكافى الأمر الذى قد يغير من توجهاته نحو السلطة وخاصة لما قد تعكسه صورة الأب المخترنة في الشعور واللاشعور منذ أن فقد أباه في المراحل الأولى من عمرة ( كمال دسوقي ، ١٩٧٩ : ٣٣٠ - ٣٣٢ )

لذلك فإن حاجات الطفل الرئيسية تعتبر هي الأساس وراء كل نشاط يقوم به ومن بين هذه الحاجات : الحاجات الانفعالية والانفعالية الاجتماعية وهذه الحاجات تثير الدوافع في طلب الإشباع وفي حالة عدم توفر عناصر الإشباع تقابل المشاعر بالإحباط Frustration أو الحرمان deprivation لأسباب مادية أو اجتماعية أو شخصية وفي حالة ما إذا أحبطت دوافع الطفل التي أثارها إحدى الحاجات فانه يقوم ببعض السلوكيات التي تنحصر في :

أ- يتصرف كبدائي معبرا عن غرائزه بطريقة غير منظمة ودون ضبط للنفس مع عدم اعتبار للآخرين .

ب- يعبر بنوع من السلوك المهذب بحيث يشبع حاجاته أو يعبر عن انفعاله بطريقة مقبولة اجتماعيا أو تتفق والظروف البيئية والمدنية التي يعيشها .

جـ قد يكبت الدافع بأكمله ويمتنع عن أى سلوك ولو فى اللحظة الراهنة . وكل هذه السلوكيات التى يحوطها الإحباط والتى تؤدى إلى الكبت تكون مختزنة فى اللاشعور وقد تظهر على هيئة توجهات أو سلوكيات مضادة للسلطة فى مرحلة المراهقة .

( كمال دسوقى ، ١٩٧٩ : ١٩٨ )

### العوامل المؤثرة فى نمو الشخصية :

يرى اوزبل Ausubel ( ١٩٥٧ ) إن نمو شخصية الفرد بما تحمله من صفات وخصائص اعتبارا من تاريخ الولادة فصاعدا إنما هو يخضع لمجموعة من العوامل تتصل بمجموعة ونوع الخبرات التى يعيشها الفرد فى بيئة الثقافة . وأيضا يخضع إلى ما يواجهه الفرد من مشكلات توافقية فى هذه البيئة ، كذلك ماهية الحلول التى يعتمد عليها ويستلهمها من ثقافته . ويؤكد فرويد أن ظهور الأنا الأعلى يبدأ مع بدء وجود قوة منظمة وضابطة من صنع المجتمع الذى يعيش فيه الفرد وهذه القوة المنظمة تحدد بدقة وإلى حد ما الخطوات التى يجب أن تتخذ أمام هذه الحاجات التى يتطلبها الفرد . ( إبراهيم قشقوش ، ١٩٨٩ : ٣٥ )

يقول فرويد إن الأنا الأعلى تتكون عند الطفل خلال التدرج فى المراحل العمرية بدءا من المرحلة القضيبية فصاعدا وفى هذه المرحلة يتعرض الفرد لبعض الصراعات النفسية بخصوص كيفية ومدى الإشباع الغريزى هذا بالإضافة إلى تكوين قدرة مكتسبة لممارسة نوع من الضبط على الأنا وهذه القدرة تسمى بالضمير والبعض يراها من وجوه كثيرة على أنها مرادفة للأنا الأعلى وهى تسلك وفق قواعد ونظم معينه داخل الفرد . ثم يرى فرويد أن الأنا تقوم بمهمة الوسيط أو من مهامها الأساسية صنع التوازن بين الهى والأنا الأعلى . أى أنها تقوم بدور الفصل والتحكيم لما قد ينشأ بينهما من صراعات أو تعارض رغبات وبهذا الدور تكون قد سعت إلى التوفيق بين الحاجات والمطالب الخاصة منها كى تصل إلى الحل المناسب الذى يحقق الإشباع الغريزى من جهة ومراعاة تنفيذ معايير السلوك والقيم الأخلاقية من جهة أخرى . هذا ويؤكد فرويد أن الأنا تعمل طبقا لمبدأ الواقع Reality Principle

(إبراهيم قشقوش، ١٩٨٩ : ٣٧)

يرى أصحاب نظريه التحليل النفسى ان بنية الشخصية عند المراهق تتعرض لشيء من التعديل فقبل فترة المراهقة كانت الأنا وظيفتها الأساسية هي الوسيط بين الهى والأنا الأعلى والعمل على التوفيق بينهما كما يتحقق لكل منهما الإشباع المطلوب .

يرى فرويد "انه فى فترة المراهقة يطراً على الأنا نوع من الاضطراب والتشوش نتيجة الانخراط فى طور البلوغ " ، وهذا التشوش والاضطراب يصعب التغلب على آثارهما السلبية فيما بعد . وفى هذا الوقت تكون الهى وكأنها موجهة بتأثير الدوافع والحفزات الجنسية . وأن هذه الحفزات والدوافع يكون لها هدف آخر هو الرغبة فى التناسل والتكاثر هذا بالإضافة إلى دوافع وحفزات طلب اللذة التى كانت عليه من قبل . فبعد مرحلة الكمون والتي تكون ما بين السادسة والحادية عشرة فان التغيرات الغددية تتمخض عن نضج غريزي تظهر آثاره على الأعضاء التناسلية . وكانت الأنا الأعلى منذ فترة الكمون وحتى حلول هذه الفترة الحرجة قد أقدمت على ممارسة وظيفتها واستقرت على ذلك ، وقد تحددت ملامحها خلال مرحلة الكمون وذلك عن طريق التوحد مع الوالدين والمدرسين وآخرين غيرهم ولكن مع حلول هذه المرحلة الحرجة " تهتز دعائم وظيفة الأنا الأعلى نتيجة التغيرات التى تطراً على علاقة المراهق بوالديه " وخاصة مع الوالد الذى يتفق مع المراهق

في الجنس . فبالنسبة للمراهق فإن هذا الوالد يمثل له نموذجا أساسيا يتوحد معه ويكون قدوة له منذ الفترة الأوديبية ( إبراهيم قشقوش ، ١٩٨٩ : ٣٧ - ٣٨ )

يري ستور Storr (١٩٦٤) " أن هذا الطور النمائي ما هو إلا خطوة في عملية ممتدة لاكتشاف الذات " وقد أكد ستور أن الجميع ذكرا كان أم أنثى يميل إلي الإعجاب وان يكون مولعا بموضوع ما وأن يقع في حب أناس يشكلون جوانب معينة محببة إلي نفسه وهذه الجوانب يصعب تحقيقها في الحياة الواقعية . لذلك فإن حب المراهقة المبكرة يصمد نتيجة عدم الثقة في ذكورته إلي أن يقوم بعملية إسقاط لصورة مثالية علي شخص آخر من نفس جنسه ثم يحاول أن يتوحد مع نفس هذه الصورة ولكن غالبا ما يرجع ويرتد هذا الإسقاط بسرعة شديدة وذلك بعد أن يحقق المراهق الثقة في نفسه وتختلف هذه العملية من الوجهة الدينامية عما يحدث في حالة النقص أو التوحد الذي ينتج عنه تكون الأنا الأعلى وهكذا بنفس الطريقة يتم إستدماج الصفات أو الخصائص المدركة من شخصية الوالد في شخصية الابن النامية . وقد قام ستور Storr معتمدا بنقل عمليتا الإسقاط والإستدماج وجمع بينهما بهدف شرح وتعليل عملية التوحد نظرا لان هناك حاجة دفاعية معينة بقصد التعويض عن وجود نقص أو قصور في الشخصية . ومن هنا يمكن أن تتأصل وترسخ وتتمو العناصر غير النامية في الشخصية هذا بالإضافة إلي التكيف إلي حد ما مع بنية الشخصية وتركيبها بالفعل " من الملاحظ أن نموذج الأسرة يلعب دورا مهم في هذا الصدد مع الأولاد " فقد يعيش الابن في أسرة دون أن يشعر بوجود الأب نظرا لان الأب يقف من ابنة موقف اللامبالاة أو العداوة أو يعتمد إلي التغييب عن المنزل وفي نفس الوقت نجد أن الأم تغمر الابن بعواطفها وتوطد العلاقة معه . ويرى ستور انه في مثل هذه المواقف يكون العامل الحاسم متمثلا في أن الابن يكون غير قادر " أن يتخيل نفسه في دور غير الخاضع تجاه امة " ويكون معها في علاقة من ابرز عناصرها الاعتماد وذلك يتعارض مع متطلبات إمكانية التعبير المناسب عن جنسية الذكر . " انه علي الرغم من الأصول الاجتماعية للأنا الأعلى Super Ego فان نظرية التحليل النفسي تعد واحدة من نظريات النمو النشوني التطوري " فان إمكانية كبح أو توقف القوة الحيوية ( الجنسية ) الدافعة أو تثبيت هذه القوة عند نقطة معينة مع استمرار نمو وتطور الجسد . وكل ذلك يعتبر من النواتج الطبيعية لمثل هذه النظرية . هذا ويمكن أن يكون حجم التثبيت اكبر إذا كان سعي الأنا نشط ونتج عنه بعض التطرف في أي من الاتجاهين السالب والموجب مما يصعب معه تكامل الخبرة المرتبطة بهذه النتيجة مع مستويات السلوك الأكثر نضجا . ( إبراهيم قشقوش ، ١٩٨٩ : ٤٢ - ٤٣ )

يحاول الطفل من خلال مراحل النمو المتدرجة تمييز الذات عن اللذات لذلك فانه بناء علي تطور وارتقاء الواقع يلعب تصور الطفل لبدنه دورا خاصا ففي المراحل الأولى يكون إدراك التوتر فقط أي انه يدرك شيئا في داخله ولكن فيما بعد ومع تدرج الوعي بوجود موضوع فانه يحدث سكون لهذا التوتر وبالتالي يكون لدي الطفل " شئ في الخارج " وبدن الطفل يمثل هذا وذلك في نفس الوقت . ولكن نجد أن بدن الطفل يبعد في نفس الوقت بسبب حدوث كل من المعطيات اللسمية الخارجية والحسية الداخلية منفصلا عن بقية العالم وبالتالي يكون من الممكن تمييز الذات عن بقية العالم ومن ثم نستطيع تمييز الذات عن اللذات وأيضا تمييز التصورات العقلية عن البدن وأعضائه مما يسمى صورة البدن هي التي تكون فكرة أنا وتعتبر ذات أهمية للتكوين اللاحق للأنا .

لقد وضع برنفلد Bernfeld ظاهرة الإنسحار كوظيفة من الوظائف المهمة للأننا . فان أي محاولة أولية للأننا بقصد السيطرة علي المثيرات الشديدة تنحصر في أن الأننا الأولية تقوم بمحاكاة الشئ المدرك . " ومن الواضح أن عملية الإدراك وتغيير الكائن لبدنه وفقا للشئ المدرك كانا في الأصل شيئا واحدا " إن التطابقات تلعب دورا كبيرا في عملية بناء الأننا اللاحقة . هذه التي تتوقف طبيعتها من ثم علي شخصيات الأشخاص المحيطين بالطفل الصغير " إن محاكاة العالم الخارجي عن طريق الإدماج الفمي تعتبر أساس هذا الأسلوب الأولي للتفكير والذي يعرف بالسحر .

توجد اختلافات بين إدراك كل من الطفل وإدراك الراشد حيث أن الاثنين يخبران العالم بشكل مختلف كل عن الآخر أما بالنسبة للطفل فإن إدراكاته تختلف شكلا ومضمونا . وقد أطلق عليها هيرمان Hermann اسم الإدراكات الأولية وأن هذه الإدراكات تختفي فيما بعد لأسباب داخلية أو خارجية . إن خصائص الإدراك الأوائل للطفل ترجع في جانبها الأكبر إلي طبيعته اللاموضوعية وطبيعته الانفعالية . فنحن ندرك العالم من خلال الغرائز فهو مصدر لإشباع محتمل أو لتهديد محتمل . ولهذا فان الرغبات والمخاوف الغريزية تزيّف الواقع " إن الإدراك الأكثر موضوعية يفترض مسافة سيكولوجية معينة من الأننا القائمة بالإدراك عن معطيات الإدراك " ليس هذا فقط بل أيضا حكما علي الأحاسيس المعاشة . بالإضافة إلي افتراض أكثر من ذلك وهو حكما صحيحا وقدرة علي التعلم الفارق . ومع هذا فان الخبرات البدائية يعيشها الطفل إكلالا وتظل غير متميزة وتظهر بصورة متكررة . " إن مبدأ اللذة أي الحاجة إلي الإفراغ في التو واللحظة لا يساير الحكم الصحيح القائم علي التقدير وتأجيل الاستجابة " ومن هنا فالوقت والطاقة المتوفران نظرا لهذا التأجيل يستثمران في وظيفة الحكم ولكن في المراحل العمرية الأولي لا تكون الأننا قد تعلمت بعد تأجيل أي شئ .

( أوتو فينخل ، ١٩٦٩ : ٩٧ - ١٠٥ ج ١ )

تقدير الذات عند الطفل والمراهق يرتبط بالقدرة المطلقة لذلك فان الأننا الأولية تعد ضعيفة إذا ما قورنت بالأننا الأكثر تمايزا أي أنها غير قادرة علي علاقتها مع الغرائز ومع العالم الخارجي علي السواء وحيث أن " الانفصال السيكولوجي للأننا عن العالم الخارجي لم يكتمل بعد " بسبب انه يوجد بداخلها بعض أجزاء من العالم الخارجي أو بأكمله فذلك يؤدي بالأننا إلي الشعور بأنها مطلقة القدرة . وقد تحدث فيرنزي Ferencesi عن قدرة أولي مطلقة غير محدودة وهذه القدرة يمكن أن تستثمر في البقاء طالما لم يوجد بعد أي تصور للموضوعات . وفي حالة المعاناة بسبب الإثارة التي يصعب السيطرة عليها تصبح هذه القدرة محدودة وبسبب عدم السيطرة علي معاناة الإثارة ينتج حركات إفراغ غير متناسقة وفي هذه الحالة إذا فهتم البيئة هذه الحركات علي إنها إشارة تطلب تغييرا في الموقف .

فان الطفل يمكنه أن يعيش هذه الأحداث باعتبارها قدرة مطلقة للحركات . فان انفصال الأننا عن العالم الخارجي لا يتم بطريقة فجائية بل يتم بطريقة تدريجية وينظر إليها علي أنها عملية غير متجانسة " بالنظر إلي النزالات التي تشكل أنا الطفل " وهذه الصراعات تكون مع واقعة ومع بدنه وتكون مرتبطة بحاجات متنوعة ومن ثم فان الأننا اللاحقة لا تشتمل علي نواة واحدة بل علي أنوية متعددة وعندما تكون الأننا النهائية متكاملة تتألف في هذه الأنوية . ولكن في حالات معينة من نکوص الأننا يمكن ملاحظة إنشطار الأننا إلي أنويتها الأصلية ولا تبقي إلا متخلفات معينة من الحالة الأصلية وهي حالة إنعدام الموضوع أو علي الأقل إذا أراد الفرد أن يجعل أجزاء من العالم الخارجي تتدفق في الأننا

فإنه يقوم بعملية إستدخال كمحاولة منه لهذه العملية . أما عملية الإسقاط بوضعه الإحساسات غير السارة في العالم الخارجي تعتبر أيضا محاولة لإنهاء انفصال الأنا عن اللا أنا .

وإذا نظرنا إلي هذه المرحلة نجدها تسير في التطور فكل شئ فيها غير سار يعد لا أنا أما الشئ السار يعد أنا ، مما اسماء فرويد أنا اللذة الخالصة . فإن أكثر الطرق بدائية للتخلص من الألم هي هلوسته إلي الخارج ولكن هذه الطريقة لا تثبت في مواجهة الواقع وعليه يحاول الفرد الصغير أن يسند المثيرات السارة بالأنا وغير السارة باللاأنا . أما في الحياة اللاحقة تظهر متخلفات هذه المرحلة عند الأشخاص الذين ينسبون لأنفسهم أية إحساسات إليهم . وبصورة عامة تبقى متخلفات عديدة لهذا العالم " التواصلى " وهكذا يتصور الطفل العالم ويقوم هذا التصور على الخلط بين الأنا واللا أنا " أنه نوع من التطابق المقلوب " فالطفل يدرك العالم الخارجى على اعتبار أن له خصائص الأنا ، تماما كما يدرك في التطابق الأولى أن الأنا لها خصائص الموضوع . وفي حالة إرغام الطفل من خلال خبراته على التخلّى عن اعتقاده في قدرته المطلقة فإنه يعتبر الراشدين الذين أصبحوا الآن موضوعات مستقلة ذوى قدرة مطلقة ويحاول من جديد عن طريق الإستدخال أن يشارك في قدرتهم المطلقة وهناك بعض المشاعر النرجسية بالسعادة والتي يعيشها صاحبها كإتحاد مع قوة مطلقة القدرة في العالم الخارجى ، مما يتحقق بإدماج أجزاء من العالم الخارجى فيه أو يتخيل إندماجه فيها ( نرجسية ثانوية ) أن الوجد الدينى والوطنية وما شابه ذلك من مشاعر جميعها تتميز بمشاركة الأنا في شئ سام لا يمكن الوصول إليه . هذا بالإضافة إلى الكثير من الظواهر الاجتماعية التي تتأصل في عدد من ذوى القدرة المطلقة لغير القادرين علي تحقيق المشاركة السلبية المشتهاة بشرط أن يوافقوا على الإلتزام بقواعد معينة بعينها .

( أوتوفينخل ، ١٩٦٩ : ١٠٦ - ١٠٨ ج ١ )

إن الطرائق الأولية التي يستخدمها الفرد لضبط الذات إنما تنبع من أن الحنين الأول للموضوعات يتخذ طابع حنين إلى إزالة ألم مزعج - وأن الإشباع بالموضوع يزيل الموضوع ذاته ومن ثم تنبعث مرة أخرى الحالة النرجسية . فالحنين إلى عودة القدرة المطلقة والحنين إلى إزالة التوتر الغريزي لم يتميزا كل عن الآخر فإذا نجح الشخص في التخلص من مثير أليم فإنه يستعيد تقرير الذات من جديد لذلك فإن المدد الأول الذى يتلقاه الفرد من العالم الخارجى بقصد الإشباع هو فى نفس الوقت الضابط الأول لتقدير الذات . وبهذا يستطيع الفرد الذى دخل حالة اليتيم أن يخرج منها من خلال تقرير وضبط الذات وعودة الحنين إلى إزالة توتر ألم اليتيم وبدعم من المدد الأول الذى يتلقاه من العالم الخارجى يستطيع إعادة التوازن إلى نفسه والشعور بضبط وتقدير الذات والخروج من حالة اليتيم

( أوتوفينخل، ١٩٦٩ : ١٠٩ ج ١ )

### المراهقة ومحاولة تأكيد الذات أو الهوية :

يرى اريكسون ( ١٩٦٤ ) أن الطفل عندما يصل إلى منتصف حركته النشطة فإنه يحتاج إلى مساعدة من الراشدين لكي ينتقل من نشاطات الطفولة أو سلوكياتها الآمنة إلى بداية عالم الرشد ( المراهق ) الملئ بالأدوار والمسئوليات على أن يتمتع الفرد بخاصية الاتصال بين الماضى والمستقبل . وهكذا يمكن القول : أن الهوية أو الذاتية ليست نتاج لجميع التقمصات التي حدثت في الطفولة . بل هي تركيب جديد نسبيا يشتمل على أجزاء من التقمصات القديمة التي حدثت في الطفولة وأخرى تقمصات جديدة وعندما يتمرد المراهق

على والديه يتجه نحو جماعة الأقران بهدف أن يحصل على الأمن وهو بينهم وينظر إلى هذا الأمر على أنه موقف أو إجراء دفاعي يقوم به المراهق بقصد حماية نفسه من تشتت الذات *Self diffusion* هذا ونلاحظ أن المراهق في هذه الفترة لا يستطيع أن يتحمل الغموض وبالتالي يتجه المراهق في هذه الفترة إلى تصنيف الأمور والأشياء حسب رؤيته وغالبا ما يكون هذا التصنيف ثنائيا ( أبيض / أسود ) كما نلاحظ في هذه الفترة أن المراهق يسعى إلى بلوغ هوية أو ذاتية جاهزة *Read mad identity* دون أن يهتم أن يضع هذه الهوية بنفسه *Self mad identity* . ومن هنا نستطيع فهم وتفسير أن يخرط المراهق تجاه الحب بعيدا عن احتياجات الدافع الجنسي إلى حد ما من المحتمل أن يكون هناك مراهقون ينتابهم حالات إحباط متتالية بسبب سلوكيات الراشدين الذين يتعاملون معهم نحوهم مما قد يدفع أحد هؤلاء المراهقين إلى إنتحال ذاتية سلبية تتصف بالتحريف وعدم التقبل من قبل المحيطين بهم نظرا لأن هذه الذاتية السالبة تتألف من صور وأدوار إجتماعية للذات غير حقيقية ومزيفة مما يجعل هذه الأدوار التي يقوم بها هؤلاء المراهقون غير مقبولة إجتماعيا نظرا لتحريفها .

يشير أريكسون أن كثيرا من الشباب يخرطون إلى حركات عالمية الإنتشار ويظهرون أنفسهم من خلال سلوكيات سلبية كما أنهم يعبرون عن سخريتهم من الأجيال الأكبر منهم سنا من خلال ارتداء ملابس هؤلاء الأكبر سنا كنوع من التهكم والسخرية منهم ، نظرا لأن هذا الجيل يضم أفرادا يسلكون سلوكا متطرفا في تنميط مراهقيهم والتعامل على ذواتهم . وكل هذا يرجع إلى أن المجتمعات فشلت في تدعيم ذوات المراهقين عن طريق تقديم الأدوار والمطالب التي تساعد على تقبل ذواتهم ويشعرون من خلالها بالتقبل والإحترام من قبل الكبار المحيطين بهم . ويرى أريكسون أن هناك جدوى أكيدة عندما تسمح المجتمعات لمراهقيها بقدر من التساهل والتسامح النفسى يمكنهم من أن يتعايشوا مع ذوات جديدة بشرط أن يتم هذا في جو من الألفة والتقارب يقوم به الراشدون بالإضافة إلى تقبلهم وتقبل ثقلباتهم والعمل على عدم إجبارهم في أن يسلكوا نفس السلوك التي سلوكها في مراهقتهم . كما يرى أريكسون أن المراهق يمر بمرحلة مهمة وهى الألفة مقابل العزلة *Intimacy v. Isolation* وفى هذه المرحلة يحتاج إلى أن يوطد ذاتية أناه خاصة فيما يتعلق بالجانب النفسى . وأحيانا يصبح إندماج الذوات حقيقة مؤكدة وذلك قبل شعور الفرد بالألفة . إن تجنب الارتباط بشخص آخر الناتج عن تأثير الخوف الذى يشعر به المراهق من احتمال فقد الأنا يترتب عليه "إحساس عميق بالوحدة أو العزلة وإنهماك أو استغراق الذات."

وأخيرا يرى أريكسون أن فترة المراهقة هى الفترة التي يفقد فيها المراهق قلق الطفولة أو على الأقل بعضا من قوة هذا القلق وسلطانه وفى هذا الأثناء تصبح الذات موضع تجديد بالإضافة إلى أن الذات فى هذه العملية كما يراها أريكسون تكافح من أجل تأكيد الهوية أو الكينونة . ( إبراهيم قشقوش ، ١٩٨٩ : ٩٩ - ١٠٤ )

يرى فرويد أن الأنا لها دور مهم جدا حيث أنها تقوم بعملية توفيقية فى مواجهة أحداث العالم المادي الخارجى من ناحية والحياة النفسية للفرد من ناحية أخرى . لذا فإن الدور الذى تقوم به الدفاعات ضد القلق له أهمية خاصة وهنا نستطيع أن نقول أن المصادر التى منها يمكن أن ينشأ القلق هى الأنا الأعلى والواقع الموضوعى والغرائز . فقلق الأنا الأعلى يتمثل فى " مشاعر الإثم العادية المألوفة التى يمكن أن تصاحب أو ترتبط بالصراعات الداخلية للضمير " أما القلق الموضوعى فهو أمر طبيعى يستثار عن طريق

المواقف والظروف التي يتعرض لها الفرد أو تشكل مشكلة بالنسبة له ويترتب عليها آثار مؤلمة . وبالنسبة للقلق الغرائزي فيتمثل في الخوف والرغبة التي تجتاح الإنسان من قوة الغريزة ذاتها من هنا فإن الاتزان النفسى الذى يمكن للشخصية أن تصل من خلاله إلى درجة عالية من الإشباع أمرا ممكنا إذا ما ظلت حالات التوتر التي يتعرض لها الفرد من خلال المواقف في حدود معقولة يمكن أن يتحملها في حدود قدرته على التحمل . وقد ذكر فرويد أن الأنا تتخذ حوالى عشر طرق كاليات للدفاع تساعد الفرد على أن يصل من خلالها إلى تحقيق تكيفه الداخلى ( إبراهيم قشقوش ، ١٩٨٩ : ٤٨ )

يرى فرويد أن القلق هو نمط من رد فعل أساسى وموروث بيولوجى وليس مكتسباً من الثقافة . والقلق يظهر من خلال أمرين مهمين هما :-

**المواقف الصادمة :** هى عبارة عن مواقف أولى تستثير رد فعل القلق الموروث نظرا لأن الفرد يشعر بقدر كبير من المنبهات تكون في قوتها اكبر من قدرته على تحملها والنموذج الأول هو قلق المواقف الصادمة وأول هذه المواقف خبرة الميلاد وفى خلال مرحلة الطفولة من الممكن أن تنشأ مثيرات صادمة أخرى حيث تكون الأنا ضعيفة نسبيا وغير مكتملة النمو وعندما يتقدم الطفل في النمو ينمو معه الآثار وبالتالي يتعرف على هذه المواقف الصادمة ويتوقعها ويستجيب لهذا التوقع بالقلق .

**قلق المواقف الخطرة :** قد سمي فرويد هذا النمط من الخطر المتوقع والذي يشمل قدرا هائلا من المنبهات التي تفوق القدرة على تحملها أيضا فى القلق الصادم بالقلق التحذيري والذي تواجهه أنا الطفل بالاستجابة له حيث أنا الطفل تعتبره قلقاً خطراً متوقعا . ومن هنا يكون القلق عبارة عن تحذير من خطر قريب الحدوث وفى هذه الحالة نجد أن أنا الطفل تحشد له دفاعيات لمواجهةته . وحيث أن القلق هو موقف يخبره الفرد ويشعر به وهو يمثل نوعاً من عدم الشعور بالراحة نتيجة الم حاد وأشياء غير سارة فان " الأنا فى هذه الحالة تهيمن على جزء كبير من النشاط النفسى المستمد من الهى لمواجهة الموقف " . لقد أدي التركيز على القلق ودور الأنا إلى فحص العمليات الدفاعية للأنا السوية والشاذة والتي تتكون لمواجهة اندفاعات الهى " . لقد انتبه فرويد إلى انه توجد عمليات دفاعية عامة تعمل على تغيير بؤرة الاهتمام وتكون التخيلات هذا بالإضافة إلى وجود ميكانيزمات دفاعية متعددة تقوم الأنا باستخدامها عندما تواجه اندفاعات الهى مثل ( أفكار الواقع - الكبت - التبرير - الإسقاط - الإمتصاص - النكوص - الانقلاب ضد النفس ... ) وأن هذه الميكانيزمات تعمل إلى حد ما فى نمو السلوك السوى بالإضافة إلى عملها فى السلوك المرضى ومن الممكن أن تعمل بأسلوب جمعى ( روبرت هارير ، ١٩٧٤ )

### **القلق وتأثيره على تطور ودينامية شخصية المراهق اليتيم :**

القلق يلعب دورا مهم فى تطور ودينامية الشخصية بوجه عام وأيضا فى شخصية المراهق اليتيم بوجه خاص وذلك لأنه يؤثر تأثيرا كبيرا فى الديناميكيات المسئولة عن نشاط الشخصية . فإن القلق هو خبرة انفعالية مؤلمة تنتج عن الإستثارات التي تحدث فى أعضاء الجسم الداخلية نتيجة منبهات داخلية أو خارجية وذلك حسب تحكم الجهاز العصبى المستقل والقلق هو خاصية شعورية معينة لم يتم التوصل بعد إلى الذى يحدد تلك الخاصية وحيث أن القلق ظاهرة شعورية فيمكن للشخص أن يميزها ذاتيا عن خبرات أخرى مثل الألم والحزن والكآبة وعن بعض التوترات الناتجة عن عدم إشباع الحاجات العضوية ومن المعروف انه

لا يوجد قلق لا شعوري فمن الممكن أن يكون الشخص غير واع بسبب قلقه ولكنه لا يمكن أن يكون غير واع بإحساس القلق فالقلق الذي لا يخبره الفرد ولا يعيه ليس له وجود والقلق مرادف لانفعال الخوف . ( كالفن س هول ، ١٩٦٧ : ٦٨ )

تقوم الأنا بإبعاد إندفاع الهى غير المرغوب ( رغبة أو ذكري أو تخيل أو وجدان وأى تخيل يرتبط بهم ) وذلك عن طريق نشاط تقوم به الأنا وهو الكبت . ويرى فرويد أن المكبوتات التي يكبتها الفرد تظل مشحونة بشحنة من الطاقة النفسية التي ترتبط بها وتظل تضغط عليها لتحقيقها . هذا فى الوقت الذي تحاول فيه الأنا الاحتفاظ بالكبت وذلك عن طريق تكوين طاقة نفسية أخرى وتقوم هذه الطاقة التي كونتها الأنا بالإرتباط بموضوع مضاد ومعارض لإندفاع الهى . " فإذا ما زادت الطاقة المرتبطة بمادة الهى وضعت الطاقة المرتبطة بالموضوع فان المادة المكبوتة تظهر على مستوي الشعور " وهذا ونلاحظ انه في حالة حدوث انخفاض مؤقت للطاقة المضادة المرتبطة بموضوع الأنا أثناء النوم فأننا نرى أشكال هذا الإنخفاض فى شكل أحلام وقد يحدث ظهور المادة المكبوتة بأشكال متعددة وحينئذ " تظهر جزئيا اندفاعات الهى المكبوتة كما قد يؤدي الإحباط الحاد إلى ارتفاع منسوب طاقة النشاط المرتبط باندفاعات الهى وانخفاض فى مستوي منسوب الطاقة المضادة لدى الأنا " ومن المعروف عن مرحلة المراهقة بأن الدافع الجنسي يزداد حدته فيها وبالتالي فمن المحتمل أن يزداد الدافع الإعتدائي مما قد يؤدي إلى القضاء على ما تحتويه الهى من ضوابط وبالتالي ظهور هذه المحتويات بعد ما ظلت مكبوتة طوال مرحلة الطفولة .

( روبرت هارير ، ١٩٧٤ )

يلعب التقمص أو التوحد دورا مهم في نمو الشخصية ويعتبر من الأساليب الرئيسية التي يحاول بها الشخص التغلب علي ما يواجهه من ألوان الإحباط والصراع والقلق وهو عامل لاكتساب الخصائص لذلك فهو يعرف في هذه الحالة بأنه امتصاص الشخص لخصائص شخص آخر أو شئ خارجي وهذا الامتصاص يترتب عليه أن تصبح هذه الخصائص للشخص نفسه فالشخص الذي يتقمص أو يتوحد معه يصبح مشابها له فالأطفال يشابهون والديههم لأنهم يتمثلون خصائص أبائهم لذلك فإن الميل لتقليد الآخرين عامل مهم في تشكيل الشخصية . فان حب الذات أحد الأحوال والظروف التي تحدث عندها التقمص النرجسى وفي هذه الحالة يتقمص الفرد شخصا فيه من الملامح والشحنات الايجابية ما يجده في نفسه من شحنات ايجابية ولامح ومثال ذلك المراهق الذي تكون عنده شحنة ايجابية نحو ملامح الذكورة والرجولة نجده في معظم الأحوال يقدر ويحترم ملامح الرجولة والذكورة عند غيره من الذكور ليس من قبيل التملك بل شبيهه بما عنده . وهذا بخلاف اختيار الموضوع أو الشئ Object - choice لان اختيار الموضوع يعني أن الشخص يريد ذلك الشئ أما النرجسى فالشخص يكون عنده ذلك الشئ ولكن شحنته الموجبة تنتشر لتشمل الناس الذين يملكون نفس الشئ لذلك نجد أن الرجال يتوحدون مع الرجال لما لهم من خصائص مشتركة . ( كالفن س هول ، ١٩٦٧ : ٨٣ - ٨٥ )

يري الباحث أنه من السهل أن يتوحد المراهق اليتيم مع احد أفراد السلطة إذا جمعتهما خصائص أو سمات مشتركة أو حتى رؤية أو أهداف مشتركة وقد يحدث العكس في حالة عدم وجود خصائص مشتركة بين المراهق اليتيم وأحد أفراد السلطة فمن الممكن أن يؤدي ذلك إلي التأثير علي توجيهات المراهق اليتيم . ويوجد نوع آخر من التقمص وهو يحدث نتيجة الإحباط والقلق ويسمي بالتقمص الموجه للهدف وان هذا النوع من التقمص يحدث بان

يتوحد شخص واجه الإحباط مع شخص آخر ناجح وذلك بهدف تحقيق النجاح له كما تحقق للشخص الآخر ويعرف هذا النوع من التوحد بالتقمص الموجه نحو الهدف وهذا النوع منتشر وله تأثير قوي علي نمو الشخصية . فنجد الطفل أو الولد يحاول أن يكون شبيها بوالده إذا كان الوالد يحقق أهدافاً يتمنى الولد أن يحققها أما إذا كان الأب غير موجود وأقصد أن الولد يتيم فإنه يسعى في هذه إلى وجود نموذج أبوي مناسب يرى فيه صورة الأب الذي يسعى لتحقيق الأهداف التي يرغب هو في تحقيقها وقد يكون هذا النموذج الأبوي في أحد أفراد السلطة فنجد أن اليتيم يتوحد معه لإشباع رغباته أو تحقيق أهدافه عن طريق التعويض ببديل الأب وكون الإنسان يحقق الإشباع بالتعويض فهذا يعني أن الشخص نفسه لا يستطيع أن يحقق هذه الأهداف لذلك يلجأ إلى شخص آخر في مقدوره تحقيق هذه الأهداف لذلك فان التقمص الموجه نحو الهدف ينصب على خصائص معينة في الشخص الآخر ومن المعروف أن التقمصات غالباً ما تميل إلى الانتشار فمن يتقمص خصائص أو سمات معينة في شخص فمن المحتمل أن يتقمص خصائص أخرى في نفس الشخص .

" أن أكثر جوانب الغريزة يواجه التغيير هو الموضوع أو الوسيلة التي يتم بها تحقيق الهدف من الغريزة وهو التخفف من التوتر " وهذا يعني إذا تعذر على الشخص أن يحصل على شيء ما أو موضوع معين فإن الشحنة الموجبة عنده تنتقل إلى موضوع أو شيء آخر أكثر سهولة وتوفراً . وأيضاً فان الطاقة النفسية قابلة للتغيير ومن هنا قد تم تعريف العملية التي بها يعاد صرف الطاقة من موضوع إلى موضوع آخر بعملية النقل أو الإزاحة displacement . وبالتالي فإن نمو الشخصية يتحقق بدرجة كبيرة بواسطة سلسلة من عمليات نقل الطاقة وإزاحتها أو استبدال موضوع بآخر. ولكن هذا لا يغير منبع الغريزة فمنبع الغريزة وهدفها يظلان ثابتين أما إذا تعرضت لعملية نقل أو إزاحة فالذي يتغير هو الشيء المستهدف فقط goal object . وأسباب النقل أو الإزاحة هي نفس الأسباب التي تؤدي إلى نمو الشخصية وهي :-

النضج ، الإحباط ، الصراع ، النقص أو القصور والقلق . وفي الواقع أن اختيارات الأشياء object choices عند الكبار تتميز بان الذي يقوم بتحديد أنواعا متعددة من الطاقة وهذه الطاقة ناشئة عن مصادر حيوية متعددة وأن هذا يعرف بإنصهار الغرائز Fusion of instincts وامتزاجها ومع هذا فإن ما نجده عند الكبار الراشدين من ميول وتفضيلات يختلف عن ميول الأطفال وتفضيلاتهم ويقول فرويد أن ميول وتفضيلات الكبار شديدة الحتمية Over – determined وهذا يرجع إلى أن اختيار الكبار لهذا الشيء إنما يشبع عندهم كثرة من الغرائز ويقال عن إمتزاج الغرائز وعن الحتمية الفائقة إنها بمثابة Condensation تكثيف بمعنى " تصريف عدد من الغرائز في شيء أو موضوع من الموضوعات يمثل نوعاً من تكثيف منابع الطاقة " ومثال ذلك فان ممارسة هواية معينة قد تؤدي إلى التخفف من التوتر . ونخلص القول أن كثيراً من الدوافع عند الكبار قد تتخذ لنفسها قناة واحدة تنصرف فيها . وإن كان هذا بالنسبة للكبار فإن الطفل يمل بسرعة مما يقوم به من نشاط لأن كل نشاط يقوم به يعبر عن دافع واحد فقط أو عن قلة من الدوافع يتم إشباعها بسرعة .

تعد الحيل الدفاعية وسائل لمعالجة القلق وتقوم بها الأنا ولكنها وسائل تعتمد على تشويه الحقيقة أو إخفائها وانكارها لذلك فان هذه الحيل تعوق النمو النفسى حيث أنها تحجز بل تعتقل الطاقة النفسية التي كان من المفروض أن تستخدمها الأنا في ألوان كثيرة من نشاطها .

ليس هذا فقط بل أن الحيل الدفاعية في حالة نجاحها فإن ذلك يؤدي إلى سيطرتها على الأنا وينقص من مرونته وقدرته على التكيف وفي حالة فشل الحيل الدفاعية عن تحقيق ما نريد يشتد القلق عند الأنا ويصبح شبه عاجز وقد يؤدي هذا إلى الإهيار العصبي . فإن نمو وتطور الفرد هو السبب في وجود الحيل الدفاعية حيث أن الطفل تكون عنده الأنا ضعيفة لا تمكنه من إحداث تآلف وتوافق بينه وبين المطالب التي يواجهها لذا نجده مدفوعا من قبل الأنا لاستخدام الحيل الدفاعية باعتبار أن هذه الحيل بمثابة أساليب وقائية . فإن النضج احد العوامل المهمة لنمو الأنا حيث " إن الأنا ينمو نتيجة التغيرات الباطنية الطبيعية في الكائن الحي وخصوصا التغيرات التي تحدث في الجهاز العصبي " ويفهم من ذلك أن الأنا تضطر إلى النمو والارتقاء من خلال النضج . إن البيئة التي ينمو فيها الطفل تعتبر من العوامل ذات الأهمية لنشأة ونمو الأنا نموا سليما على أن توفر هذه البيئة للطفل الخبرات المتعاقبة بحيث تتناسب كل خبرة منها على إمكانية وقدرة الطفل على التوافق فلا تكون من القوة والصعوبة فتعجزه أو تكون من الضعف فلا تعمل على تحفيزه أو استثارته فيجب أن لا يمر الطفل الرضيع بخبره صعبة في فترة الرضاعة بل يجب أن تكون ضئيلة على أن تأخذ في الازدياد في مرحلة الطفولة المبكرة وهكذا . فلو استطعنا أن نحقق للأنا البيئة المتدرجة الخبرة والصعوبة لتمكن الأنا التخلص من الحيل الدفاعية بقدر كبير . لذلك فإن البيئة المثالية قد تقضى على الحيل الدفاعية ويستبدل بها حيلًا تكون أكثر واقعية وكفاية .

( كالفن س هول ، ١٩٦٧ ، : ١١٥ - ١١٦ )

#### عقدة أوديب من خلال نظرية التحليل النفسي وعلاقتها بدينامية الشخصية :

هي جملة الرغبات الليبديه والعدوانية التي يشعر بها الطفل تجاه والديه وتبلغ ذروتها في الحقبة بين ثلاث وخمس سنوات فمئذ أن يرفع الستار عن الوليد لتتفاضل الأنا عن الهو وفصول المسرحية مستمرة انتقالا من المرحلة الفميه إلى الشرجية ليبلغ الموقف ذروته في عقدة أوديب في المرحلة القضيبية حيث قمة الصراع كنتائج لذلك الموقف الذي يمر به الطفل والذي نتج بالضرورة لطول اعتماده في طفولته على والديه لذا فهو يتميز بثنائية الوجدان ambivalanc نمو الوالد من نفس الجنس وعلاقة الحب الشبقي الحنون معا بالوالد من الجنس الاخر ذلك التعلق الذي يتناوله الكبت بسبب الصراع الناشئ من اصطدام هذا التعلق بمشاعر الحب والكراهية والخوف الذي يشعر به الطفل تجاه الوالد من نفس الجنس وهو ما اسماه فرويد بعقدة اوديب الايجابية positive ولقد تحدث فرويد أيضا عن عقدة اوديب السالبة Negative عندما يحل التعلق العشقي محل تلك المشاعر العدوانية التي يستعيرها الطفل تجاه والده من نفس الجنس وإن دلته الخبرة التحليلية النفسية كما يقدر بنفسه في كتابه ( الأنا والهو ) على أن هذين الشكلين ليسا أكثر اشكال العقدة شيوعا وإنما يمثلان تبسيطا كافيا فحسب من أجل الأغراض العلمية إذ أن الدراسة المتعمقة تكشف عادة عن عقدة أوديب الكاملة Complete oedipus complex والتي تتبدى في وجهيه سالب وموجب وترجع إلى الثنائية الجنسية Bisexuality الموجودة اصلا لدى الاطفال ( ولدى الانسانية عامة ) .

إن الصبي لا يتخذ فحسب اتجاهها ثنائيا نحو ابيه وعلاقة بموضوع ذات طابع وجداني تجاه أمه وإنما يسلك في الان نفسه سلوك فتاه مبديا اتجاهاً انثويا ودورا ناحية ابيه واتجاه الغيرة والعداء ناحية امة ويرى فرويد انه من الافضل بوجه عام أن نفترض وجود عقدة اوديب الكاملة لدى الفرد بخاصة لدى العصابيين ، ويجدر الاشارة إلى أن تعبير عقدة أوديب

لم يظهر في كتابات فرويد إلا في عام ١٩١٠م في مقالاته ( أنماط خاصة من اختيار الموضوع قام بها الرجال ) ضمن سلسلة مقالاته المعنونة ( اسهامات لسيكولوجية الحب ) وان كان ذلك لا ينفى ظهور معناه بتعبيرات أخرى فقد أشار فرويد في خطابه لفليرس رقم ٧١ في ١٥/١٠/١٨٩٧ بصدد حديثه عن تحليله الذاتي كيف انه في نفسه حسب اتجاه الأم وغيره من الأب من المعتقد الآن انها ظاهرة عامة في الطفولة المبكرة إن القوة الأسرة ( لمسرحية ) أوديب ملكا تصبح مفهومه إن كل متفرج كان يوما ما اوديبا ناميا في المتخيل ومن المعروف أن عقدة اوديب تقوم بدور اساسى في بناء الشخصية وانها التمهيد الحق للأنما الأعلى الذى يرث عقدة أوديب مع تسويق الموقف الاوديبى .

تشير مارى بونايرت المحللة النفسية الفرنسية إلى أن ثمة فروقا بين الذكر والانثى في تكوين العقدة يجب الاشارة اليها كما كتبتها في كتابها سيكولوجية المرأة ( ترجمة صلاح مخيمر ، القاهرة ، الانجلو ١٩٦٩ ) إذ ترى أن عقدة أوديب الايجابية تكون موجبة الاتجاه عند الصبي سالبة الاتجاه ( عارضة ) عند الفتاه ثم يمر الاثنان بسلبية مخرجية ثانوية نحو الأب وهي عند الصبي سلبية ذكرية من استبعاد جزئي لعضو الذكر وفيها تتكون عقدة أوديب السالبة الاتجاه السلبية ( عارضة ) بينما هي لدى الفتاه وقد مرت في المرحلة السالبة باتجاه سالب عرضى فإن عقدة أوديب السالبة الموجبة الاتجاه تكون مستمرة ، وعندما يصل الطفل إلى المرحلة الايجابية الثانية ( انسالية قضيبية بلوغيه ) مع استبعاد نسبي مستمر لعضو الذكر وتأكيد للمهبل وما أكثر التفصيلات التى تثيرها أيضا ميلاني كلاين ولكننا على أي حال معنيون بالموقف السلفي في التحليل النفسي من العقدة والتي نرى مع مدى بونايرت انها أكثر تعقيدا عند الفتاه والتي تنتهى بها إلى تشكيله تباينات من المهلبية الخالصة ( إن كان ذلك موجودا ) إلى حاملة القضيب السيكولوجي

( فرج عبد القادر طه وآخرون ، ١٩٩٣ : ٣٩٤-٣٩٥ )

الاوديبية الكاملة في التحليل النفسي : الوجود المتزامن للميل إلى عرض حب الموضوع مع الأم والتقمص بالأب والميل إلى عرض حب الموضوع مع الأب والتقمص بالأم وتتحدد قوة حب كل من الأم والأب على الترتيب أساسا بالخبرة وربما تتفاوت من شخص إلى آخر ويقرر فرويد انه في كل أحوال أمراض العصاب من المرغوب فيه افتراض وجود ما يسميه الأوبوية الكاملة فالتعبير اشارة للوجود المتزامن لموقف اوديبى ايجابي وموقف سالب أو مقلوب معا والصغير يظهر حب موضوع الأم وتقمص الأب وكذلك حب موضوع الأب وتقمص الأم وكمية الوجدان أي الشحنة الانفعالية التى تعطي لكل من هذه الظروف الأربعة هي انعكاس في جزء منها لقوة ازدواج الجنسانية الفطرى وفي الجزء الآخر لعوامل الخبرة .

في نظرية التحليل النفسى العقدة اللاشعورية في معظمها الناشئة في ابن عن ارتباطه الجنسي في طابعة حسب المحللين بالأم والنقمة والحد على الأب مع الشعور الناجم عن ذلك بالاثم والصراع الانفعالي من جانب الابن المعتقد انه سوى في صورة أو اخرى في أي محيط أسرة تحليل نفسي : رغبات الصغير المكبوته للاتصال الجنسي مع الوالد من الجنس المقابل في الأصل استخدام فرويد اصطلاح عقدة اوديب اشارة لرغبة الولد في الأم واصطلاح عقدة اليكترا اشارة لرغبة البنت المقابلة في الأب . فالمشهد الاوديبى للنمو في الطفولة المبكرة هو أحد مظاهر الطور التناسلي المبكر للنمو فبسبب أن الوالدين يفترض كونهما على وعي برغبات الطفل ولانهما يتوعدان بالقصاص للطفل على ان يضع ويكبت

رغباته لكن بما ان اللبيدو مستمر في طلب مزج أو يعرف فهذا انما يوجد بالتقصص بالوالدين نفس الجنس بهذا يتحصل الصغير على اشباع بدليلي في العلاقات الجنسية لذلك الوالد بالوالد المرغوب فيه .

إن عقدة أوديب تحول في جزء منها إلى الطاقة التي تلزم الصغير لتنتشنته الاجتماعية التي اسماها فرويد الاعلاء حسب المحللين النفسيين تعلق شبقى شعورى أولا شعورى بالوالد من الجنس المقابل مع اتجاه نعمة على الوالد الآخر يحدث عادة في حوالى سن الخامسة وحين إذ تبدأ الجنسانية الطفولية إلى أن تكبت وينافس الصغير الوالد من نفس الجنس من السادسة حتى الرابعة عشر وفي المرضى بالاعصبة النفسية تظل الاوديبه تزاوول قوة كبرى في التحليل النفسي الرغبة المكبوتة لدى شخص ما في علاقات جنسية باحدى الوالدين من الجنس المقابل ونوعيا أو بالذات تشير عقدة أوديب لرغبة الولد في أمة لكن في المناقشات النظرية تتوسع لتشمل رغبة البنت المماثلة في الأب . المسماه بالذات عقدة اليكترا ويعتقد المحللون النفسيون ان عقدة أوديب من الناحية العملية عامة شاملة في كل مكان من العالم . ينفذ مفعوله مبكرا جدا ومظاهره عديدة ومتنوعة إلى حد بالغ في الطفولة المبكرة .

( كمال دسوقي ، ١٩٩٠ : ٩٧٧ )

تكشف العقدة عن نفسها في صور أقل إخفاء إما العدوان تجاه الوالد من الجنس المشابه وكالتنافس من الجنس المقابل . أما في حياة الرشد فإن المظاهر تتخفى بكمون واستتار . عقد أوديب هي العقدة النووية لكل أمراض العصاب وكثيرا ما يستخدم المضاف إليه أوديب للتعبير عن المضاف والمضاف إليه معا . فيرى : تعلق شبقى للطفل باحد الوالدين من الجنس المقابل فيكون بسبب الصراع المتكافئ الضد مع الوالد من نفس الجنس المحبوب والمكروه أو المخشي جانبه في نفس الوقت ( عقدة أوديب ايجابية ) وتسمى عقدة أوديب سلبية أو مقلوبة عندما يحل محل التنافس مع الوالد من نفس الجنس التعلق الشبقى بالوالد من نفس الجنس مثال ذلك : عند الولد سلبية الجنسية المبكر غير الواعية تجاه الوالد أوديبية سالبه حسب ( لاميل دى روت ) طور الاوديبية السالية هو أحد الأطوار التي تمر بها الطفلة الأنثى عادة فهي تعتقد ان النمو اللبيدي في كلا الولد والبنت متشابه حتى الطور القضيبى في كليهما الأم هي موضوع الحب وحينما تصبح البنت واعية بالفروق بين أعضائها التناسلية وأعضاء الولد تخرج نرجسيتها وتجد نفسها مرغمة عن حنينها للأم لأنه ليس عليها أن تخاف الخصاء كما يفعل الولد فهذه حقيقة أنجزت من قبل من هنا توحد البنت نفسها بامها وتتخذ الأب موضوع حب لها لأنه عن طريق الأب يمكن أن يكون لها طفل معادل للقضيب ويقول لاميل دى روت ان عقدة الخصاء في البنات تكوين ثانوي مستمر من الطور الأوديبى السلبى السابق وهذا الأخير إذا هو الطور الأوديبى عن النمو وعقدة الخصاء . ( كمال دسوقي ، ١٩٩٠ : ٩٧٧ )

يرى فرويد أن المرحلة الأوديبية يكون فيها الطفل مهتما جنسيا بالوالد من الجنس الآخر هذا بالإضافة إلى انه ينتابه شعور بالمنافسة والرغبة في ان يحل محل الوالد من ذات جنسه . ولكن لا يلبث هذا الشعور كثيرا بل سرعان ما يدرك الطفل أن هذا الاهتمام الجنسي بالوالد من الجنس الآخر أمر محرم ولذلك نجد الطفل يوجه ما به من حب وكرهية معا للوالد من الذي من جنسه ، ويظل هكذا إلى أن يشعر أن لديه شعورا شديدا بالقلق والذنب وهذا الشعور قد يدفعه إلى توقع العقاب لذلك قد يؤدي توقع الطفل الذكر للعقاب على رغباته " المجرمة " أن يتخيل أن المعاقبين له سوف يقومون بخصية . وبالتالي يكون خوف الطفل

الذكر شديد إلى درجة قد تكون فوق طاقة احتمالها مما يضطره للاستسلام والخضوع للمنافس القوى ( الوالد من نفس الجنس ) عن طريق نبذ وكبت المشاعر الجنسية نحو موضوع الحب ( الوالد من الجنس الآخر ) ومن هنا جعل فرويد هذا الكفاح والذي اسماه بعقدة أوديب العامل الحاسم في تكوين الشخصية وهنا يرى فرويد أن الشخصية تنمو متزنة نسبيا إذا ما اجتاز الطفل الكبت بنجاح كذلك حل الصراع أما إذ لم يستطع أن يتغلب على هذا الصراع بنجاح فسوف تصاب الشخصية باضطرابات قد تكون خطيرة .

( روبرت هارير ، ١٩٧٤ : ٣١ - ٣٢ )

يعتبر فرويد ان الهو تمثل الدوافع الاساسية ( الغرائز ) بينما يعتبر الأنا انها حلقة الوصل بين الهو والواقع الخارجي أما بالنسبة للأنا الأعلى فيقول فرويد انه مكمّن المدركات الخلقية للفرد وطموحاته المثالية . كذلك يرى أن الهو الممثل النفسي للدوافع الجنسية والاعتدائية وما يشتق عن هذه الدوافع هذا ويرى أن الانسان يولد وبه هذه الدوافع وينظر إلى الهو انه يحوى الجهاز النفسي الاصلى للفرد وكما يرى أن الأنا والأنا الأعلى ينبثقان من الهو ولكن يوجد تمايز لكل منهما عن الآخر بل كل منهما يصبح وحدة وظيفية مستقلة أما بالنسبة لاندفاعات الهو فهي لا تخضع للنظام او التنظيم او الضبط والترتيب بل تخضع الهو لمبدأ اللذة حيث تلح الحاجة في الهو على الاشباع المباشر ويكون عملها طبقا للعملية الاولى . ويرى فرويد أن تمايز الأنا الأعلى لا يبدأ بوضوح إلا في السنة الخامسة أو السادسة من العمر بينما تبدأ الأنا في النمو التدريجي منذ الشهر السادس تقريبا من ميلاد الطفل . كما يرى فرويد أن الاحباط هو العامل الاساسي الذي يؤدي إلى نمو وظائف الأنا وهذا الاحباط الذي تواجهه الأنا يأتي أو تتعرض له من البيئة الخارجية عندما ترفض البيئة الاستجابة لمطالب وحاجات الهو للاشباع المباشر ، وفي ظروف معينة يستطيع الطفل أن يبدأ في التمييز بين نفسه والواقع الخارجي وبين اندفاعات الهو التي يشبعها الواقع الخارجي ( اللذة ) واندفاعات الهو التي يحيطها هذا الواقع ( الألم ) . ( روبرت هارير ، ١٩٧٤ : ٤٩ )

إن ما يؤدي إلى تكون وتشكيل الأنا هو النمو في المدركات الواقعية وتوافق الطفل مع هذه المدركات كي يستطيع أن يبلور هذه الخبرة يؤكد فرويد أن الأنا وسيط بين الهو والبيئة الخارجية بالإضافة إلى انها منفذ للدوافع وهنا يراها فرويد الأنا انها " أنا النفس ومظهر الشخصية المنسول عن الإدراك والمعرفة والتفكير والوجدان والاختيار ونوع العقل الذي يتبع ادراك العالم الخارجي " وتقوم الأنا بضبط اندفاعات الهو كما انها تقوم بتوزيع النشاط النفسي حسب رؤيتها ومدركاتها . أما بالنسبة للأنا الأعلى فهي كالأنا حيث انه وظيفة للشخصية تنمو من الهوى هذا النمو لن يبدأ قبل أن يصل الطفل إلى سن الخامسة أو السادسة من عمره . ويرى فرويد أن نمو الأنا العليا يتم كنتيجة للصراع الأوديبى لانه يرى أن الطفل يكون لا أخلاقيا إلى حد كبير قبل المرحلة الأوديبية إذ هو يقوم باداء ما يطلب منه وضد اندفاعات الهو عنده حيث ان أنه تعي جيدا أن ما يلحق به من آثار نتيجة العقاب الذي تعاقبه به البيئة ( في صورة الوالدين ) عادة يكون مصدر ألم وهذا الألم يفوق احباط اندفاعات الهو عنده . ( روبرت هارير ، ١٩٧٤ )

أن الطفل إذا ما دفع عنه تهديد عقاب المصادر الخارجية قبل المرحلة الأوديبية فانه يطلق عنانه لاندفاعات الهو دون أي دافع من الروادع الداخلية . ومن هنا فان القواعد الأخلاقية لا تبدأ من أن تكون عملية داخلية إلا بعد الخامسة بقليل وتسير نحو النمو إلى أن تصل إلى صورة من الاستقرار وفي حوالى سن العاشرة يقوم الطفل بتقمص للوالدين مما

يدفعه إلى التشبع بوجهة نظر الآباء وتقمصه هذا يكون أثناء المعركة التي يخوضها ضد اندفاعات الهو وهذه الاندفاعات تظهر أثناء الصراع الأوديبي حيث أن الطفل يتملكه شعور بالفزع خوفاً من اندفاعات الذاتية لقتل الوالدين ومن الانتقام المتوقع (الخصي) وذلك لرغبته في أن يقوم بممارسة نشاط جنسي مع الوالد من الجنس الآخر وبالتالي فإنه يري أن الطفل انه يجب عليه أن ينضم إلى صف الوالدين ليسيطر ويوفق النزعات الأوديبيية الخطرة .

عندما يتقدم الطفل في هذا الاتجاه يظهر الأب الذي تم التشبع به (الأنا الأعلى) في الوجود ويصور فرويد الأنا الأعلى انه رقيقاً لا ينام ابداً ويقوم بفحص ونقد اندفاعات الهو بالإضافة إلى فحص ونقد أوجه النشاط المختلفة التي يقوم بها الأنا . هذا ويقوم الأنا الأعلى بمحاكمة كل من يحكم عليه انه لا اخلاقي بل يعاقبه ويثبت بمدح النفس التي لها كل الوجدانات والأفكار والأفعال المرغوبة " وبما أن الأنا الأعلى يقوم على المدركات الطفلية للواقع والتشبع إلى حد كبير بكل ما يبدو " فإن الصورة الأبوية تقوم على أنه (شئ) وبالتالي " فإنه من المحتمل ان تحتوى رودود افعال الفرد الاخلاقية على كثير من اللامعقول " وقد اشار فرويد أن الأنا الأعلى يقوم باستهاجان بعض من المظاهر هو أن الفرد الذي يشعر بالذنب غالباً يتضح له انه لم يلتزم بقواعده الخلقية بل انحرف عنها وتخطاها ونسى ضميره لذلك تكون مشاعر التقمص أوضح دليلاً على طرق اوامر الأنا الأعلى . وقد اوضح فرويد ان مثل هذه المشاعر تأتي بسبب استنكار لاشعوري للأنا الأعلى . لذلك نجد الفرد قد يعطي لنفسه كل أنواع المبررات الظاهرة لشعوره بالنقص أو الفشل غير أن السبب اللاشعوري المحتمل (الحقيقي) هو عدم السير على تعاليم أناه الأعلى بل خرج عنها وانتهاكها ويرجع ذلك أن الفرد يشعر انه ولد سئ بناء على انه يختزن في اللاشعور بعض الذكريات التي تشبع بها من الأوامر الأبوية .

(روبرت هارير ، ١٩٧٤ : ٥١ - ٥٢ )